

(c) <http://nidaulhind.blogspot.in>

**تنبيه:** توجد بعض صفحات ما حملتها ، أو بعض الكلمات في بعض الصفحات من

الملفات غير واضحة حيث تعوق القراءة نتيجةً لقدم الكتاب نفسه وليس بسبب

التصوير، فقد قمنا بتصحيح الخلل والمعوقات بقدر ما استطعنا

<http://nidaulhind.blogspot.in> موقعكم نداء الهند

## محتويات هذا العدد

الصفحة	العنوان
ج - ٣	١ الصور
٢	٢ مولانا آزاد كما عرفته ، لهايون كبير
٨	٣ السياسي المفسوف
٢٢	٤ مولانا أبو الكلام آزاد واثاره الثامرة
٢٩	٥ كلمة المفوض له مولانا أبو الكلام آزاد
٣٦	٦ ضد التفرق عى الدين أبو الكلام أحمد
٥٩	٧ وا مولانا أبو الكلام
٦٣	٨ الفن الهندي خلال الحصور
٧٠	٩ الشعب الهندي يرقى العقيد الكريم
٧٩	١٠ ثورة الهد السياسية

## مولانا آزاد کا عرفہ

للاستاذ صابون کبر

تعریب: الاستاذ محمود علی خان

### صاحب الرأى المتوازن

رأيت مولانا آزاد وسمت كلامه كغيري من آلاف الرجال والنساء من الجيل الحاضر قل أن أتشرف بمقاتته في سنة ١٩٣٦. وذلك قبل الانتخابات العمومية الأولى في دستور ١٩٣٥. وأما حصرت إليه في محبة السيد فضل الحق والمستر سرت تشندروس والمستر جى. كى. كيننا والدكتور آر. أحمد، وكان زعماء المؤتمر الوطنى عندئذ يناقشون في مسألة مهمة. وهى هل يناسب لحزب المؤتمر الوطنى الهندى في نعال أن ينتخب منه المرشحين في دوائر انتخاب المسلمين أو يساعد حزب كرشك برجا في حملة الانتخاب؟ وكانت لائحة ذلك الحزب تشاء لائحة المؤتمر ولعلها كانت تفوق عليها قليل من الناحية الاقتصادية والزراعية نظرا إلى موقف المؤتمر عندئذ. فكان من زعماء المؤتمر من يرى أنه لا يناسب لحزب المؤتمر الوطنى أن ينافس ولو في مقعد واحد من مقاعد المسلمين، حينما يرى آخرون منهم أنه لابد للمؤتمر أن يفتح في معركة الانتخاب ويسعى لكل مقعد ولا يحجم عن معارضة حزب كرشك برجا أيضا إن مست الحاجة إليه.

ولكن مولانا آزاد كدأه المعهود لم يؤيد رأيا من هذين الرأيين المتطرفين، بل أوضح لنا سبلا جديدا سبيل المصالحة بين الرأيين وقد أقنع كلنا بما أبداه من الرأى السديد.

وكانت هذه أول مرة قابلت مولانا آزاد وتبين لي أنه رجل له تفكير واضح ورأى متوازن ورزين. ولعل وضاحة التفكير وتوازن الفكر ورزاقه كانت من الصفات المميزة لرأيه القاب.

لم يكن مولانا آزاد منحزبا في رأيه أو مائلا إلى جهة واحدة فقط بل كان يرغب دائما في التجاوز عن معارضيه في الرأي وكان لا يسمح لميله الشخصي أو لكراهته لشيء أن يؤثر في رأيه. وكان عدم انحيازه الذهني وسعة فكره ونظرة في المسألة من جميع نواحيها مما جعل لكل ما قال وزنا وتقديرا. وكلما عرضنا عليه مشكلة من المشاكل وجدنا دائما في إمكانه أن يقدم لنا حلا للمسألة. وكان ما أبداه من الحل حلا ظاهرا حين قدمه ولكن لم يكن يختر يبال أحد منا قبل أن يعرضه لنا.

ولم تكن هذه الاتصالات القديمة بيني وبينه إلا نادرة وكانت من الصفة السبابة فقط ولكن لم يمض قليل حتى زادت لي معرفته الشخصية.

سألت مولانا آزاد قيل انعقاد جلسة المؤتمر الوطني الهندي في رام نكر: «هل أنت نحضر في الاجتماع؟» قلت له أما أحب أن أحضر ولكن لم تيسر لي حتى الآن الترتيبات اللازمة لحضور فيه. والآن كما أظن صرت متأخرا بكثير. فلما سمع ذلك دعاني بدون تردد إلى الحضور في المؤتمر كضيف على حسابه وقال لي «أنا امين لك محلا في خيمتي في معسكر المؤتمر. ودعشت من فضله وكرمه على من هو أجنبي وأصغر سنا بالنسبة إلى من كانوا حوله من الأصحاب. لم يقبل مولانا الأعذار التي قدمتها (وكانت تلك الأعذار بدون رغبة في قلبي) وقال لي «لا بد من حضورك».

### روح التسامح

إن أنسى اليومين أو الثلاثة التي قضيتها في معسكر المؤتمر. وكثيرا ما كان يجمع

منه على عاتق الجائدين جواهر لال نهرو والبيدة سروجي ناتيسدو وغيرهما في التطور والبناء والبناء. وكانت المحادثة لم تنحصر في موضوع السياسة بل تمتد واشتملت على جميع النواحي من تاريخ البشر والثقافة الانسانية. وكان الاستماع إلى تلك الاحاديث ضروريا لكل منفع، وكان يدهشني مرة بعد أخرى معالجة المسائل بطرق جديدة مقبولة وبطرقه في الأمور على نهج عصري. كان مولانا آزاد شديد الإعجاب والتعجب في الوطنية ولكن كان في نفس الوقت محبا للحرية. وكان بمنزلة روح التسامح إلى درجة فاقته. كان المستر سوباش تشندروس يدعو الأمة جسدك إلى مؤتمر كان من أهدافه أن ترفض الأمة فكرة التسامح والتفاوض مع المستعمرين (ونلقا إلى العنف) وكان ذلك ضد أهداف المؤتمر الوطني وتحداه. ومحروبا للغاية لكثير من رعاة المؤتمر الوطني. ولكن مولانا آزاد لم يكن منهم. لم ينكلم بكلمة تؤلم المستر سوباش أو تؤلم أعضاء المؤتمر الذي كان يدعو إليه ضد التسامح والتفاوض المتبادل. وقد أبدى مثل هذه الخوة والتهامة مع العصاة الاسلامية ورعته مع أنهم سيؤه وشمه داخل جلساتهم وحارحها. ولكن مولانا لم يكن إلا مجاملا دائما في إشارته إليهم. ومع كونه راسح المعبدة في لوطية ومعارضا لسياسة العصاة الاسلامية لم يهاجم خصبة من شخصياتها.

أما الطلبة وغيرهم من الشبان الذين قاموا ضده، فلم يكن يلومهم بل كان يلوم أولئك الذين أضلوا عن سواء السبيل.

كنت أظن أن مولانا آزاد عالم من كبار علماء الدين كما ظن كثيرون غيري ولا يعرف من السياسة وحل المشاكل على النهج الحديث إلا قليلا. ولكني دهشت حينما علمت أن معالجته لكثير من القضايا السياسية كانت معالجة عليا عقلانية وأحسن من معالجة كثيرين من الساسة الهنود الذين تلقوا علوما حديثة.

## الدين والسياسة

مولانا آزاد لم يكن يخاف أن عقيدته السياسية تضر بسمته . وكل منا يعرف الطريق الذي قاوم به مداخلات العصبة الإسلامية وتهديداته . وكفانا مثالا بأنه كان يوم الناس في صلوة الميدين في كلكتة منذ سنين ويحضر آلاف من الناس لينصتوا إلى خطبته . فقامت العصبة الإسلامية بغتة جديدة وأخذت تحث الناس على أن يعزلوه عن الإمامة في صلوة الميدين . فاستكر هذه الحركة آلاف من المسلمين الذين كانوا يحبونه وطلبوا إليه أن لا ينسلم لضغط زعماء العصبة الإسلامية . وأن لا يقبل اقتراحهم أن تكون هناك جماعتان لصلوة الميدين يوم إحداهما مولانا آزاد ويوم الأخرى إمام آخر يفتخه زعماء العصبة . وذلك طلباً للتعام والتراضى بين الفريقين . ولكن مولانا آزاد لم يرض بذلك وصرح بأنه لا يسمح للاختلافات السياسية أن تؤثر في الأمور الدينية ، وأعلن بأنه لا يريد أن يؤم الناس في الميدين إذا كانت ثمة قلبية من المسلمين تستكر إمامته .

ولما خرج مولانا آزاد من السجن عام ١٩٤٥ أكرم على بأن أدخل في زمرة المقرين في حضرته . وقال لي بأنه قرأ في جمن أحد نكر محاضرتي في شان مهاراجا شيواجي راو في موضوع وحدة الثقافة الهندية - وأضيفت إلى هذه المحاضرة تفاصيل فيما بعد ونشرت بعنوان « التراث الهندي » - وطلب إلى أن أشتغل في خدمته ككرنير في مؤتمر شمالا الذي دعى إليه اللورد وويل . فقبلته بدون تردد فكان أول يوم تشرفت بصحبته التي استمرت إلى آخر يوم من حياته .

وجدير بأن أذكر هنا واقعة تتجلى بها صفتان جليلتان من أخلاقه ، وهما كنهه بالصدق وحسنه الطيبة . وهي أن مولانا آزاد قام برحله إلى لندن عام ١٩٥١ وذلك المستر إتلي . وكان المستر كرشنا مينون حينذاك المتدوب السلي في

لندن، فلما عرف مينون المستر إيتل بمولانا آزاد قال له إن مولانا مع فضله من اللغة الانكليزية لا يتكلم بها من حيث المبدأ. فلما سمع مولانا ذلك سأل المستر كرشنا مينون أن يقول لمستر إيتل أنه لا ينكر فضل كرشنا مينون، ولكن الحقيقة هي أنه لا يصعب عليه مطالعة اللغة الانجليزية ولكنه لم يتعود على التكلم. لأنه تعلم الانجليزية بنفسه بمطالعة الكتب ولم يتعود في التكلم بها وإلا لما تردد أن يتكلم به لفته.

### الاستعراض الوزاري

أما أختم هذا البيان الوحيد بذكر واقعة أخرى يظهر بها كرمه وفضله واحترامه لمن كان يشاركه في العمل أو يعمل تحت إشرافه. وهي أن رجلا من كبار الرسميين جاني يوما وكان في حالة شديدة من الحزن والضيق - وأنا أسميه في هذه القصة باسم المستر ايكس (تد) - وقال بأن مولانا آزاد أصبح سائطا عليه ويهمل صحته على ملعة أوراقه. فطلت الملفة وطالعتها فوجدت فيها أن المستر ايكس لم يذكر بعض الحقائق الملائمة التي لابد من ذكرها. فقلت له ما الذي دعاك إلى ترك هذه الحقائق، فأجاب بأنه ذكرها فلا حينا قدم الملفة أول مرة، ولكنه رأى أن يكررها لما قدم الملفة في المرة الأخيرة فقلت له إنه لا يتوقع من الوزير أن يطالع أوراق الملفة بأجمعها كلما تقدم إليه. فكان عليك أن تسجل ملاحظتك في المرة الأخيرة بإيراد الحقائق اللازمة، حتى يكون الوزير مستغنيا عن المراجعة إلى ما كنته أول مرة. ولكني مع ذلك قلت لمولانا آزاد بأن المستر ايكس قد أتى بالتفاصيل اللازمة والحقائق الملائمة حينما رفع الملفة في المرة الأولى. فبمجرد ما سمع ذلك برأ المستر ايكس وكتب على الملفة بأنه لم يكن على الحق في ملاحظته في شأن المستر ايكس، وهو آسف عليه، فلما علم بذلك المستر ايكس غرق في بحر من الالدهاش، وقال كان يكفي

لہ ان یکتب اہ عفا عنی، لانی لم اطلب ولم اتوقع ان یسجل أسفه علی الملقۃ.  
قَالَ مولانا آزاد إني سجلت علی الملقۃ وطالبہ أعضاء المكتب كلهم.  
فأظهرت الآن أسفی أيضا حتى يعرفوا أنك لم تكن علی الخطأ.





## السياسي الفيلسوف

➤ إمام الهند المقهور له أبو الكلام آزاد ➤

قلم الأستاذ محي الدين الألواني

ما زالت أنباء وفاة إمام الهند مولانا أبي الكلام آزاد موضع حديث في الدوائر المختلفة العلمية والأدبية والفلسفية والسياسية. فلا عجب أن امتد أثرها ونزود صداها في المحافل العلمية والمراكز السياسية على حد سواء، لأنه كان طاماً من أعلام الهند البارزة، وقطباً من أقطاب العالم الإسلامي، وزعيماً فيلسوفاً وسياسياً محكاً في القرن العشرين.

إن مولانا أبو الكلام آزاد كان محدثاً بارعاً وخطيباً مصمتاً وأديباً كبيراً عرفه الشرق وأحبه وبهّل من علمه فأخلص له. وهو عالم ضليع تعمق في دراسة الدين واشتهر بتفسيره للقرآن الكريم باللغة الأردية وترجمان القرآن.

وبدا أبو الكلام آزاد حركته السياسية وخدماته القومية والوطنية بتحرير صحيفته الأسبوعية «الهلال»، لتتوّر الرأى العام الإسلامي في الهند حول المشاكل التي تواجه تركيا والأقطار الإسلامية الأخرى على أبدي المستعمرين، ولتنظيم صفوف المسلمين في الحركة الوطنية. وبلغت مجلة «الهلال» رواجاً واسعاً إذ كانت تصدر لها أكثر من عشرة آلاف نسخة. وجاءت الحرب العظمى الأولى فازداد رواجها إلى خمسة وعشرين ألف نسخة.

ولكن الهند لم يطل بها فقد وجدت السلطات البريطانية في «الهلال» منبهاً لا ينبغي لانتقاد الحكومة وأداة فاعلة في تنظيم صفوف أبناء الهند تحت لواء.

الوطنية الموحد فسادتها. ولكن مولانا آزاد لم يستسلم فأصدر صحيفة أخرى سماها «البلاغ»، وكان مصيرها كسابقها. وفي الأخير اعتقلت الحكومة مولانا آزاد. واستمر في كفاحه ضد الاستعمار وفي سبيل تحرير الوطن. ولم تستطع ضروب من العذاب والسجون التي لاقاها في حكم الانجليز من إرجاعه عن هدفه. وفي حركة «الحلقة» الشهيرة سبق إلى السجن قدم عريضة دفاعية تألفت من ثلاثين صفحة، ولكن قررت السلطات الانجليزية أن جزاءه على تقديم تلك العريضة هو السجن بالأشغال الشاقة المؤبدة! وكان أحد الأعمدة الأربعة للهند الحديثة التي تمثل في غلدي، آزاد، نهرو، قديواني. وقد قضى مولانا آزاد في السجن أكثر من أحد عشر عاما، وكان يرأس المؤتمر الوطني الهندي الذي قاد الهند إلى الاستقلال في الأعوام التي نعد من أصعبها في تاريخ الهند.

### مولده وأسرته

ينتمي نسبه إلى عائلة عريقة يرجع تاريخها إلى أيام «أكبر» إمبراطور الهند المشهور. و ولد في مكة سنة ١٨٨٩ حيث أقام والده بضع سنين بعد أن غادر الهند فرارا من طغيان المستعمرين عقب الحركة الوطنية الأولى، و ملتجيا إلى صحارى جزيرة العرب. وكانت أمه من عائلة عربية في المدينة المنورة. واسمه الحقيقي «محي الدين أحمد» ولقبه المشهور «أبو الكلام آزاد» وأتم دراسته الابتدائية عند والده في مكة المكرمة والمدينة المنورة. وكانت عائلته من جانبي الوالد والأم مضرب الأمثال في العلم والفضل والحكمة والفلسفة.

واشتهر منذ صغره بالذكاء والنشاط والفهم السريع والقوة الحافظة الجبارة حيث تدفح أقرانه وزملاءه. وفي سنة ١٨٩٨ عادت العائلة إلى الهند وأقامت في كلكتا. وقد طاف مولانا آزاد في عتفوان شبابه بالعراق وإيران ومصر وتركيا وفلسطين، واتصل برعائتها ومصلحيها العسكريين، وعملت هذه

الرحلات والزيارات عطف ونورت ذهنه وثبتت آفاقه حتى أصبح فذاً في  
التجارب وفريداً في الخبرة.

### ﴿ نشاطه العلمي والسبلي ﴾

ودأ نشاطه العلمي ولم يتجاوز بعد الخامس عشر من عمره فأصدر مجلته  
الشهيرة « لسان الصدوق » . وكان يبادل الرسائل والمخطابات وهو في الرابع عشر من  
عمره . مع العلامة الشير مولانا « شل » . وكانت مقالاته في شتى المواضيع تنشر  
في مجلة « محزون » التي كانت تصدر من لاهور . وفي سن الثلاثين من عمره  
كتب تاريخ حياته المعروف باسم « مذكرة » . وتحلى بها فلسفته الثورية ومقدرته  
العلية وعبقريته السبابة . وكتبها وهو في السجن ولم يكن لديه مرجع ولا  
ملاد إلا حاضنة الحلية . لمصنوعات في محزون دأكرته . وهذا الكتاب الذي  
كتبه مولانا آزاد في اللغة الأردية آية في الدقة والتلاغة وروعة الأسلوب ،  
ويشتمل من أروع المؤلفات في الهند والباكستان . وتحلى فلسفته الأساسية من  
عبارة جاءت بها ما مضى .

« لا استطع أن أؤم بأمر وأقره قل أن أغربله بفربال عقلي  
وأعرضه على محك عقل » .

وأما فلسفة الدينية فتلخص في قول وضعه منذ عهد بعيد إذ قال :

« إن أمن الكسوز التي قدمها الدين الحنيف للعالم هي رسالة  
الديموقراطية والتساوي بين البشر . أنا مسلم وأعتز بإسلامي وبأن تقاليد  
الاسلام نرائي . وتعاليم الاسلام وتاريخه وفنونه وآدابه وحضارته هي  
غنى وثروتي . فواجبي أن أحفظ بهذا التراث وهذه الثروة » .

وقد كرس أبو الكلام آزاد حياته في تحقيق هذه المثل العليا ورفع علم

الديموقراطية وخدم أمنه ووطنه باخلاص وإيمانه المطلق بتعاليم الإسلام وفضله الواسعة بأمور الحياة. كل هذا وذاك قد وسع نظره إلى المشاكل ودفع شخصيته إلى مدارج الكمال وميز منظاره الخاص الذي ينظر به إلى قضايا العالم بميزات شتى. وأسرد الآن مقتطفات من خطبة مولانا آزاد ألقاها مفتتحاً لؤتمر منظمة «يونسكو» المنعقد في نيودلهي عام ١٩٥٦ للبلاد. وتبدو منها جلياً سعة اطلاعه على التطورات العلمية والقضايا العالمية فيقول:

«ومن أهم المتناقضات في عصرنا الحاضر أنه بينما نرى جميع الأمم والشعوب تشد السلام وترنو إليه. فإن حكومات العالم تنفق على الاستعدادات الحربية ما يفوق بكثير عما تنفقه في سبيل أغراض السلام. وكما لا يخفى عليكم فإن ميزانية منظمة «اليونسكو» لا تتعدى عشرة ملايين الدولارات. وإذا ما قارنا هذا الرقم بآلاف الملايين التي تنفقها دولة واحدة من الدول على أغراض التسلح فلا يسع المرء إلا أن يتساءل إذا ما كانت موجة من الهوس والجنون الجماعي قد حلت بالعالم أجمع؟ أضف إلى هذا كله أن قدماً كبيراً من هذه الميزانية الضئيلة للمنظمة ينفق على جهازها الإداري. وإني أعلم أن إدارة ما لن ينسئ لها أن تتنظم إلا إذا توفر لها ما يدير شؤونها. فليس هناك قائدة ترجى من وراء ترداد الحقيقة القائلة بأن ما يبقى بعد حسم النفقات الإدارية يكاد أن لا يفي بنفقات المشاريع التي تضطلع بها المنظمة. وطبيعي أنه إذا قدر لنا أن نراقب النجوم فلينا أن نهمز أنفسنا بالمنظار الضروري لذلك. هل أتناجب طينا أن لا نسح لآفتنا بالإنهياك بهذا المنظار إلى درجة تفينا مهمة مراقبة النجوم».

وأردف مولانا يقول:

• وإن الأسباب التي أدت إلى شن الحروب في الماضي قد أصبحت في عصرنا هذا بالية ضيقة. أما الآن وقد أحرز العلم هذه المدى من التقدم في المبادئ العلمية والفنية فليس هناك ما يحول بين أي فرد ونتمه بالتقدير الكافي الذي يضمن له أن يحيى ويعيش عيشة راضية. وإذا قدر للعالم أن يحل مشكلة تزايد عدد السكان، وهو الموضوع الذي تطلب فيه التربية دورا هاما. فإن أسباب الصراع الاقتصادي بين الأمم والأفراد ستؤول إلى الزوال. وعلى النحو لم تعد النظم الاستعمارية بدأت بالزوال ولا تغتر في مصاف العوامل الحيوية الهامة، والواقع أنها في كثير من الأمصار قد ولت إلى غير رجعة وحتى في الدفاع التي لا تزال هي في الوجود فإن أيامها قليلة معدودة. وكذلك نظرا للدرك المتزايد في مختلف أرجاء العالم والاعتراف بمبدأ حق تقرير المصير فإن العادة في الاتجاه إلى الحرب لاغارات إقليمية أو قومية أصبحت من العادات البالية. • ولو كان الإنسان أكثر تفلا كانت الفرصة لاقامة السلام في العصور الحاضرة أحسن منها من أي وقت مضى. ولكن رغمًا عن هذا فإن العالم اليوم مربة للتوتر والشكوك والوجل والحقد. وما لا يسمي إلا أن أسأل ما هي الأسباب الرئيسية لهذه الأوضاع؟ وأخالك توافقوني على أن مردها إلى الصراع ما بين المبادئ والمثل. فالصراع القائم اليوم هو صراع فكري وليس بمادي. ويقوم الآن في العالم معسكران: معسكر للرأسمالية ومعسكر للاشتراكية. وإن هذا الاقسام بين المعسكرين لا يقوم على أسس قومية لحسب بل يرد إلى حد ما إلى الصراع بين المبادئ التي تدين بها شعوبها. وبلاحظ أننا نجد في كل بلد مؤيدين للمعسكر المضاد الأمر الذي

يلعب الصراع الحال بطابع الحرب الدولية والحرب الأهلية على حد سواء. فلا عجب والحالة هذه أن يؤدي الصراع الحال إلى كل هذه المآلة في سائر الجهات. ولما كان هذا الصراع يستمد جذوره من الصراع بين المبادئ والمثل، فلا مندوحة لنا من مكالمته بنفس السلاح أى سلاح المبادئ. وعلى هذا لا يسع لمنظمة «يونسكو» أن تتجاهل هذا الصراع. وعندى أنه من واجب المنظمة أن تضع نسبة لهذا الصراع الفكرى، وأن تقدم الدول العالمية باقتراحات تضمن حلاله. ولا مشادة أن الصراع الفكرى من المشاكل القائمة حقيقة في إيمان ما يمرض الإنسانية إلى الخطر..

وأضاف يقول:

والخطوة الأولى في سبيل التوصل إلى حل لهذه المشكلة تنأت عن طريق الاعتراف بالحقائق والوقائع. وعليها أن نعترف بصراحة تامة وبدون تهيأ أنه ليس من الممكن محو إزالة معالم المثل التي ينافع عنها كل من المعسكرين. ولا أعتقد أن أحدا في تمام حواسه وعقله يقول بإمكانية حل أمريكا أو الاتحاد السوفياتى على اعتناق المبادئ التي يدين بها الفريق الآخر، والواقع أن العالم الآن كما عهده في السالف لم يشاهد قيام وحدة في المبادئ والمثل القائمة فيه. فلماذا العالم خلال الأجيال الغابرة اعتنقت مبادئ ومعتقدات يختلف بعضها عن بعض. فما الذي يمنحنا والحالة هذه أن نقر التباين القائم بين هذه المبادئ والمثل بنفس الروح التي اعترفنا فيها باختلاف الأديان والمعتقدات..

**استورد مولانا يقول محلا المبادئ التي ينسك بها كلا الفريقين والاسم إلى**

### تقوم عليها تلك المبادئ فقال :

« ولأن الصراع بين الظالمين يقسم على اعتبارات المبادئ فمن واجب منظمة « اليونسكو » ومن مسؤوليتها أن تحاول لايجاد حل لهذا الصراع وأن هذا الحل يجب أن يقوم بادئ ذي بدء على مستوى فكري ثقافي وعلى أساس الاعتراف بالحقيقة الواقعة بأن هناك هذين النظامين ولا مندوحة لهما من البقاء.. وعلينا في نفس الوقت أن نعلم بأن من حق كل من الظالمين أن يعمل للترويج إلى مبادئه على شرط أن يأتى هذه الترويج على وجه سلمى منظم. وإن منظمة اليونسكو تدين وتعترف بحرية الرأي على أكمل وجه كما أن مطالبة الفريقين لهذه الحرية وتطبيقها تتماشى مع روح هذه المنظمة. فمن حين أن من حق كل من هذين النظامين أن يعبر عن وجهة نظره وآرائه بحرية كاملة ليس لاي منها من حق أن يعتمد إلى الوسائل الهدامة العنيفة وإما جميعا تعترف من حيث المبدأ بحق أى شعب من شعوب العالم بتقرير مصيره. والنتيجة الطبيعية لهذا الاعتراف، هي أن من حق كل أمة أن تتخذ النظام الاجتماعى أو السياسى الذى يروق لها. وأن أمة ما لا تملك أى حق لفرض إرادتها على الآخرين ».

### ❦ كيف كان يفضى أياها ❦

كان مولانا آزاد يستيقظ من نومه فى الساعة الخامسة صباحا، وعقب الفراغ من الاجراءات الضرورية والاضطرار يبدأ فى استقبال الزوار ويتناشئ معهم فى الأمور السياسية والأدبية والعلمية. وتدوم هذه الحالة إلى الحادية عشرة أو إلى وقت الظهر فى أغلب الأوقات. ومن المعلوم أن الناس يلتجئون

إليه في الأمور الصعبة والمسائل المربكة لايجاد حل سريع وتسوية مقبولة ومقبولة حول تلك المضلات. ولما عدته على مواجهة هذه المسائل والوصول إلى حلول مطالعته الواسعة العميقة وخبرته وحكته السياسية وسرعة خاطره وحذقه فهمه. ولم يلتجئ إلى رحابه شخص في مسألة ما إلا أن وجد عنده مفرجا منها، ولم يعرض عليه عقدة أو مسألة شائكة إلا أن وجد لديه حلا مجديا لها. ولم يكن يدرس ألقه في سفاف الأمور ويضيع أوقاته النفيسة في المناظرات القشرية والبحوث السطحية أو في قيل وقال ويلبس دائما زيا عاديا نظيفا بدون تبختر ولا تقشف. ويمتلك في مكتبته دائما أحدث الكتب وأروعها في شتى اللغات، الإنجليزية والفارسية والعربية والإردنية والفرنسية وغيرها من لغات العالم الحية في مختلف المواضيع. ويصل إليه يوميا محتاف الجرائد والمجلات من إيران وأفغانستان وتركيا والبلاد العربية والأوربية. وكان يصرف وقتا كافيا يوميا في مطالعة تلك المجموعة النفيسة والاملاص على مجريات الأمور في شتى بقاع الأرض. ومنذ أن استقلت الهند وعين وزير المعارف في الحكومة المركزية كان يأخذ بيد الملايين الهنود إلى شاطئ النور والعرفان ويوجه عناية خاصة إلى النهضة العلمية إلى طول البلاد وعرضها.

ووصفه المهاتما غاندي « إنه لا يبارى في العلوم الإسلامية كما كان متبحرا في اللغة العربية، ووطنيته متينة صادقة كإيمانه بالاسلام ».

وتمنى كثيرا أن ينسحب من ميدان السياسة ويكرس أوقاته ونشاطه في سبيل العلم والأدب، ولكن آلاف المسائل السياسية المربكة والظروف التي أحاطت بالوطن وشعبه قد أجبرته أن يبقى في كرسى السياسة. وهذه الأيام التي قضاها في ميدان السياسة يبلغ صداها في آذان كل فرد في القارة الهندية بدون تفرق. ولم يتصل به أو يتعرف عليه شخص ما إلا وقد اعترف من منزل طه وتشيع من



نور بخته. وإذا كان مشهورا في السياسة والكتابة في الدوائر الدبلوماسية  
والسياسة كان مبرورا مضرب الامثال بالبحر والقسرة الفائقة في البلاغة  
والصناعة والطلاقة في الأوساط العلمية والأدبية والفلسفية.

والكم اقتباسات من بعض الخطب التي ألقاها مولانا آزاد في المحافل الدولية  
وتساعدنا على إلقاء النور على النواحي السياسية والفلسفية الكامنة في أعماق  
فصله. مثلا الخطاب الذي ألقاه في الجلسة النهائية لمؤتمر «يونيكو» المنعقد  
عام ١٩٥٦ ببرو دلهي بصفة كونه رئيس المؤتمر فقال:

«لقد حملنا التطورات الأخيرة على أن نفكر بصفا ووضوح. لقد  
كنا نطّل النفس بعد الحرب الكونية بأن النظم الاستعمارية ووسائل  
الاستغلال قد قضى عليها تماما وآلت إلى الزوال. ولقد كنا نأمل أن  
المحاولات التي قد تقوم بها دولة ما لاستغلال دولة أخرى لن  
تكرر. على أن الأحداث الأخيرة قد أثبتت أننا أسرفنا في التفاؤل،  
وأن العالم المحرق الذي نشده وتوخاه لم يولد بعد. فإذا كانت  
مثل هذه الأوضاع تقوى على الظهور على مسرح العالم رغم الدمار  
والويلات التي أزلتها الحربان العالميتان على الجنس البشري، وعلى  
رغم الجهود التي بذلتها هيئة الأمم المتحدة وسابقتها جامعة الأمم،  
فليس غريب على المرء أن يفقد أمله وثقته بمستقبل البشرية. والسؤال  
الذي يقبدر إلى الذهن الآن هو: هل نسمح لليأس والقنوط أن  
يفسرا إلى قوسنا لأجل هذه التطورات المفجعة؟، وجوابي على ذلك  
التي القاطع. والنتيجة المقولة التي يجب أن نخرج بها هي أن  
الأهداف السامية التي توخاها تتطلب منا جهودا أعظم وأشد مما  
بذلناها حتى الآن. فإن كنا ما زلنا أبعد ما نكون عن أهدافنا

المشودة فلزام علينا، والحالة هذه، أن لا نتوقف عن السير، بل نمضي في الشوط ونسارع في خطانا، وإذا قدر واعترضت سبلنا بعض العقبات فليتنا أن نضاعف الجهود للتغلب عليها، وإذا وجدنا أنه ليس بمجيب لدائنا ودعوتنا فليتنا أن نشدد ونلح فيها. والواقع أن مثل هذه الصعوبات يجب أن تشحذ عزائمنا وتولد في قلوبنا الثقة والأمل. وعلينا أيضا أن نسير قدما بكل عزم وحزم وتصميم حتى نبلغ الأهداف المنشودة والغايات المطلوبة. وإن الطريق التي تكفل لنا النجاح وتمكثنا من بلوغ مآربنا تأتي عن طريق بحث شعور جديد بين الأمم وإقناعها بأن المعتدى مقضى عليه بالعزلة ولن يجد من يؤيده ويمطف عليه. وإذا ما تيسر لنا إثارة الرأي العام العالمي لدرجة تبادر دول العالم معها إلى استنكار المدوان وأعمال العنف. فإن أمة من الأمم لن تجرؤ على الإقدام على الأعمال العنيفة وارتكاب المدوان. ولذلك يحتم علينا أن نضاعف من الجهود المبذولة لتقوية المنظمة العالمية وتعزيزها بحيث تصبح معقلا للرأي العام الذي يحمل المعتدين على أن يكفوا أو يقلعوا عن أعمالهم المدوانية.

واستطرد يقول:

«كلنا نعلم أن منظمة «اليونسكو» ليست بالمنبر الذي يصلح ويليق لمناقشة القضايا السياسية، ومع ذلك إنني أعتقد أن من واجب منظمة «اليونسكو» أن تعمل طبقا لرد الفعل المعنوي الذي يخلف في النفوس كلما تعرض سلام العالم للخطر».

ولما أقادت البرقيات بأبناء النزول الثلاثي على مصر ألقى المرحوم «أبو الكلام آزاد»

خطبة ثرية نهر مضاجع المستعمرين وتقرع آذان المعتدين. وكان يتحدث في  
دورة مؤتمر اليونسكو، في نيودلهي قال:

• وقد سبق لي أن بينت منذ لحظة في شيء من الأمل أن الأسباب  
التي كانت في الماضي تدهر إلى شن الحروب والتي تنحصر في  
الاضطرابات الإقليمية والدينية والقومية قد أصبحت في عصرنا  
الحديث بالية غير مألوفة. وأنه لمن دواعي الأسف والحزن  
المبشرين أن اضطر إلى الاعتراف بأن الأمل الذي علقت به نفسي  
قد أخفق. والآن ذلك الأحداث التي وقعت في مصر منذ أيام  
على أنها ما زلت فرائس للأساليب الضيقة والدبلوماسية البالية. وأنا  
ما زلت في بعد عن تحقيق أحلامنا. أجل إننا في منظمة اليونسكو،  
لبس من مهمتنا أن نغني مثل هذه القضايا السياسية ولكننا في  
نقص الوقت لا نستطيع أن نتغاضى عما لهذه القضايا من تأثير في  
ميدان التفاهم الدولي الذي نعمل من أجله. وإلى لأرجو من  
حضراتكم بكل تواضع أن تبادروا معي للنظر في هذه الأحداث  
ودرسها بعين الجد والانصاف. لقد اجتاحت القوات الاسرائيلية  
الحدود المصرية لمهاجمة مصر بينما قامت بريطانيا وفرنسا بتوجيه إنذار  
إلى مصر، ثم ما لبثت قاذفاتهما أن تهاجم الأرض المصرية. واسمحوا  
لي أيها السادة، أن أسألكم هنا سؤالاً، أين تقف هيئة الأمم  
المتحدة من هذه الصورة القاتمة؟ وإلى لا أستطيع أن أتصور  
كيف أن دولتين عظيمتين كبريطانيا وفرنسا - وهما من الدول  
المؤسسة لمنظمة الأمم المتحدة - تقدمان على مثل هذا العدوان  
القاتم ضد مصر، كأن منظمة الأمم المتحدة أو مجلسها الأمن ليس

في عالم الوجود تصوروا أيها السادة..

وأضاف يقول

«ومن دواعي الأسف أن النتيجة التي يمكننا أن نخرج بها بعد كل هذا التفكير، هي أن المنظمة لم توفق بعد إلى تهيئة العقليّة السليمة أو توفير الاحترام الضروري للسلام. وهي العوامل التي لا مندوحة لمنظمة عن تهيئتها وإعدادها، إذا قدر لنا أن نتفادى ما يهددنا من جراء تقدم العالم في الميادين العلمية والفنية من أخطار هذا التقدم العلمي والفني الذي يعتبر بمثابة السيف المسلط على رقابنا. فلا مندوحة لنا، والحالة هذه، إلا أن نضاعف من جهودنا في سبيل بناء تحصينات السلام وغرس مبادئ الأمن والطمأنينة في عقول البشر وأفكارهم. ولعمري فهذه هي عين الأهداف الأساسية التي قامت هذه المؤسسة الجليلة من أجلها. وإنني أرى لزوما على هذه المنظمة حتى في أوقات الشدة أن تتحول إلى ما يشبه ضمير العالم الحي كقوة ديناميكية فعالة تعمل لصالح البشرية جمعاء..»

وبالجملة كان مولانا أبو الكلام آزاد مفكرا سياسيا و أدبيا قديراً و كاتباً مجيداً. ويكتب العلامة المشهور «يوسف علي مهر» حول مؤلفات آزاد و تصانيفه:

«إن أبا الكلام آزاد قد طالع الكتب الرئيسية في العلوم الشرقية والغربية بتعمق بالغ، وأصبحت كتبه التي وضعها في شتى المواضيع، والخطب التي ألقاها في مختلف المناسبات، والمقالات التي نشرها في عدة مجلات و جرائد، محل تقدير واحترام لدى أولى الألباب في أرجاء العالم..»

وكتب المهاتما غاندى في مقدمة تاريخ حياة مولانا آزاد الذى وضعه المستر

ما ديو دبسالى :

« حصل لى الشرف العظيم أن أعمل مع مولانا آزاد فى الميدان الوطنى والقومى منذ عام ١٩٢٠ . ولا بدائيه أحد فى التبحر فى العلوم الاسلاميه كما أنه متمكن فى اللغة العربيه . وهو الآن الرئيس الاعلى للزيم الوطنى الهندى . ويجب على كل فرد يريد الاطلاع على مجرى السان الهنديه أن لا يغفل أو يتجاهل عن هذه الحقيقه . »

من خطه التاريخيه أيام الاضطرابات دلهى

أتى مولانا أو الكلام آزاد خطه تاريخيه هامه فى « جامع دلهى ، أيام الاضطرابات دلهى عام ١٩٤٧ . فذل ما معناه :

« أياها المواطنون ! إن هذه القمعه التاريخيه ليست بجديده على ، فقد ساعدن الخط وسمح لى القدر لأن أتى بين ظهرانكم خطبا عديدة من قبل أيام أن كان الفرع يهلل وجوهكم والغبطه تلج صدوركم والكرامه ترفع رؤسكم . وسيا الآن أرى آثار الفرع بادية فى وجوهكم ومظاهر القلق ظاهرة على أساريكم ، أعود بذاكرتى إلى الحوادث الماضيه والأيام السابقه إذ كنت أدعوكم فيها إلى شاطئ النجاه ، فقطعتم لسانى ، وإذا كنت أنادىكم عمل . قلبى إلى التعفل للأشياء والتنبه إلى الظروف فقطعتم أبادى . ونهتكم إلى المخاطر التى كنت أراها منتشرة فى أقمكم وأتمنى غفلة عما تساقون إليه وغفوة عن أساليب التضييل والتخويه ، ولم تصغروا إلى ندائى ولم تلبوا دعوتى . فرفقت ما كنت أتوقع واضطربت الاحوال وتأزمت الامور ، وكاد الزمام أن يفلك من الايدى . وها

هو الآن بين ظهرانيكم بقلب حائر وصدر مكسور - أيها المواطنين ! لا تركوا للخوف ثغرة للتسرب إلى صفوفكم، فانه داء عضال، ولا تسمحوا للبأس فجوة للتغلغل إلى قلوبكم، فانه قاطع الاوصال ومبسط الهمم، فاصبروا واثبتوا. إن هي إلا نتائج أعمالكم، فلا يلومن أحد إلا نفسه. وقلت لكم مرات من قبل وأكرر هذا القول مرة أخرى، ألا وهو: ابتعدوا عن التذبذب والشك وتسلحوا باليقين وقوة الإرادة. واجعلوا العزم رائدكم، والحزم قائدكم، وسيروا إلى الأمام بخطى ثابتة، وتقدموا إلى ميدان العمل والنجاح بقلوب مليئة بالأمل والرجاء. واستأصلوا من عقولكم الخمول والكسل، فان الخوف مجلبة المصائب واليأس منبع الهزائم.

أيها المواطنون ! اجعلوا تطورا أساسيا في وجهات نظركم، وتسلحوا بعقول ثابتة وأفكار صائبة. فان أسلافكم العظام قد ركبوا البحار وعبروا الجبال وتحملوا المشقات في سبيل المجد والكرامة. ولم يعرف اليأس أو الخوف سيلا إلى قلوبهم ولم يفتروا ولم يضجروا ولم يفشلوا في الوصول إلى أهدافهم النيلة. فآثم أبنا هؤلاء العظام، فكيف تسمحون لأنفسكم الفرار خوفا من المصائب وجزعا من الأهوال، تاركين وراءكم تراثكم التاريخي وأمانتكم التي تحملتموها على عواتقكم. فان علمت ذلك فيكون جريمة لا تغفر في حق أجدادكم العظام ووصمة عار في جبين تاريخكم ونقطة سوداء في مستقبلكم..

ولي إمام الهند مولانا محي الدين أحمد أو الكلام آزاد إلى نداء ربه وانتقل لجوار رحمة في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة عشرة صباح يوم السبت الموافق للثاني والعشرين من شهر فبراير عام ١٩٥٨. ودفن في الميدان الفسيح الواقع بين جامع دلهي، التاريخي و القلعة الحمراء المشهورة، في الساعة الثالثة والدقيقة العشرين بعد الظهر يوم السبت المذكور.

---

## مولانا أبو الكلام آزاد

### وآثاره الباهرة

للأستاذ عبد الحلیم

قد راح إلى رحمة الله تعالى صاحب العز والسعادة وزير المعارف للهند ورئيس المجلس النحوي لاكتشافات الطبيعة والروابط الثقافية مولانا أبو الكلام آزاد يوم السبت من شهر فبراير سنة ١٩٥٨ للميلاد. ولا شك أن بوفاته غربت شمس من العلم العربي، والأدب الرفيع، والخطاة البالغة، والسياسة الطاهرة من الكيد والدعاء، بل انقضت دورة ذهبية للعالم المدين المتأخرين الألميين، ولعل في مثلهم قيل «فرسان بالهار ورمضان بالليل».

### نشأته وتعليمه

ولد رحمه الله بمكة المكرمة سنة ١٨٨٨ للميلاد ونشأ وترعرع تحت حضانة أبيه المولوى خير الدين، الذى كان عالماً متبحراً ورجلاً تقياً من أقباء زمانه، وكان من سكان مدينة دهلى القديمة (عاصمة الهند اليوم). وبعد أن تحمل هو وأسرته كثيراً من المصائب والمضروبات الثورة الهندية سنة ١٨٥٧ للميلاد، غادر إلى مكة المكرمة مهاجراً، فأقام بها زمناً. وفي خلال مدة قيامه تزوج مع فتاة غنيمة، بنت الشيخ محمد ظاهر الوطرى، التى منحه الله تعالى من نسلها ابناً سمى بأحمد عى الدين المدعو بأبى الكلام آزاد فيما بعد.

ثم إن الزمان دار وسار واقلبت الأحوال فى الهند، فسافر مع عائلته إلى الهند وعوم على الإقامة بكلكتا. وإنما استحسن القيام بها دون مدينة أخرى من بلاد

الهند، لأن كثيرا من تلامذته وأتباعه المسترشدین منه كانوا يسكنون فيها، وهم كانوا يظفونهم وأسرتهم تعظيما بالغا وينزلونهم منزلة مقدم وإمامهم الديني. فهاك في كلكتا بالغ المولى خير الدين رحمه الله أن يرثي ابنه أحمد محي الدين، فيروز بخت (اسمه العرفي التاريخي) أحسن التربية ويعلمه علوما متداولة في ذلك العصر، فلذلك قرر له أساتذة اختصاصيين، فما زالوا يعلمونه ويدرسونه مدة ماشاها الله، مع كمال الرعاية للاداب المتوارثة والرسوم الالهية المريقة.

وما أرسله والده الكريم إلى أية مدرسة من المدارس المصرية، لأنه كان يرى أن تعاليم ودراسات تلك المدارس أصبحت ناقصة بدون جدوى وأيضا غير موافية بمقتضيات العصر، على أنها كانت تحت إدارة الحكومة البريطانية التي تأتي طبيعتها السمحة أن يعث إليها ابنه، والغيرة القومية ما كانت تأذنه أن يرسله إلى تلك المدارس التي تتظل عليها أبدى الأجانب الظالمة الفاحشة، كما يذكر ذلك مولانا رحمه الله في كتابه «تذكرة»، فيقول:

«..... لكن والدي المرحوم لم يرفض بأن يرسلني إلى أي مدرسة من المدارس، وذلك لأن المدرسة العالية الرسمية (بكلكتا) كانت لديه غير معتبرة، بدون شأن ولا أهمية، فإكان يهتم بمعارفها المدرسية، وبالحقيقة إن تلك المدرسة كانت كذلك، ومع ذلك كان هو لا يحب أن يرسلني للنعم والتدريس خارج مدينة كلكتا، على أسلك مسلكا لا يعجبه فيها بعد. فبناء على هذه الحقيقة، قد اختار أن يعلمني نفسه أو يقرر لي أساتذه نابغة في علومهم فيقيموا بيوتهم ويعلموني. فلا شك أن في زمان تدرس وتعلم ما وطئت قدمي أرضا عدا أرضي، ولا تنفست إلا في فضاء أسرتي. أما إذا قضيت ذلك الزمان قد سافرت أمفارا طويلة بعيدة التواحي ونائية الجهات من خارج الهند».



وله يشير هذا إلى رحلة ابن بطوطة إلى مصر والشام والعراق  
وفي موضع آخر يقول:

• إن الناس يتنادون أن يقضوا صباحهم في الألعاب الرائجة في زمانهم  
لكن كانت حال على عكس حالهم ، حينما كنت ابن ثلاث عشرة سنة  
أو أربع عشرة كنت مضادا أن أذهب بكتابي المدرسي وأعتكف في  
زاوية لا تهدي إليها أنظار الناس . لابد أنك رأيت مرحة دلهوزي ،  
واحدة هذا الوسطة العامة . كانت موسومة وقد ذاك على العموم بـ "لال  
دكي" وكانت مزودة مقفلة بالأشجار المؤلفة السابقة من سائر نواحيها ،  
وكان في داخلها ماء . رطب ومفيد للحلوس . ولا أعلم هل الأشجار  
موجودة الآن أم لا . فإذا أنهز لي الفرصة ، كنت أخرج من بيتي  
بكتابي وأترغل في تلك الأشجار الملتفة وأجلس تحت ظلالها ، بعيدا عن  
أنظار الناس ، معصيا في دراسة الكتاب .

ومن النقطتين الصادر ذكرهما تبين أن طيبة مولانا آزاد كانت مائلة إلى التوحيد  
والاقتراح من بدايتها . وللك السجة دخل عظيم فيما أتى به مولانا المرحوم من الأمور  
السياسة العامة والعلية والأدبية والدينية . فأصبح آية من آيات الله وبرهانا على  
معجزات صنعته في النشر :

وليس على الله بمستنكر • أن يجمع العالم في واحد

### • حياته السياسية السامية •

في سنة ١٩١٢ أصدر من كلكتا جريدة "الهلال" . وقد كانت مزدانة بالموضوعات  
العامة مما يتعلق بالهين وبسياسة المسلمين الهنديين العصرية على الخصوص ، وبثقافتهم  
الرائجة القديمة على العموم . وهي كانت تكشف عن مكانة الحكومة الافرنجية وقضى

دساتيرها وتهاجم عليها بتأييد الحق وإدحاض الباطل . فلذلك قضت الحكومة عليها بعد سنوات فلبت مبلغ ضمانتها للطبع والنشر ، وحبت مولانا المرحوم في سجن رانجي ، فكث في السجن نحو ثلاث سنين لكن لم يزل قلبه متدهقا بخدمة الملة والدين ومتفكرا في شؤون المسلمين وغيرهم من أهالي وطنه العزيز ، فكتب في أيام حبه أحسن معالمة وأجود آثاره وهو «ترجمان القرآن» ، قد أتى فيه مولانا روح بيان مطالب ونكات الآيات القرآنية على منوال حديث ومنهاج جديد في اللغة الأردوية البليغة التي كان هو فيها خطيا مصقفا ومنشأ بارعا ومنفردا في أسلوبه الرائع المتعال ، ثم إذا أطلق من السجن أصدر جريدة أخرى سياسية على طراز «اللال» وهي «البلاغ» ، لكن ماضى عليها عدة شهور حتى ألجئت على قطع إشاعتها ونشرها . وكان السبب لذلك يرجع إلى ضغط الحكومة وسياساتها العقيمة السوداء .

ثم إذا أحس أن الحكومة الأفرنجية لا تزال تعاكسه في عزائمه وتعارضه في أي مشروع هام لافادة المسلمين على الخصوص و أهل الهند على العموم ، ألحق نفسه بهيئات المجلس الشعبي للهند و تواصل بثوراتها تواصلًا عمليًا حارًا . فأصبح من أركانها وزعماء الكبار في مدة قليلة . وكان ذلك العصر عصر «ثورة الخلافة» و «عدم الموالاتة» مع الحكومة . قدم أفضل التضحيات منه في سبيل تحرير الوطن وإفقاذه من مغالب أعداء الأجانب . ولعله يشير إلى هذا الزمان نفسه إذا هو يستطرد قائلا في كتابه «تذكرة» :

« إذا انقضى زمان تعلی و تدرسی خرجت من محیط بینی ، فضاء

أسرق ، و تفصت عن ملك جدید لنفی فوجدته »

أصبح مولانا أبو الكلام آزاد رئيس مجلس الشعب الهندي وهو ابن خمس و ثلاثين قط في سنة ١٩٢٣ للميلاد . ولا شك أن كونه رئيسا بهذه السن بجماعة سياسية مهمة مثل مجلس الشعب الهندي كان من أسمی مفاخره لا يسامحه فيه أحد حتى الآن . ومنذ تلك الأيام صار المرحوم مدار الهيئات القومية الوطنية في الهند بجميع نواحيها . وما زال

رئيسا بالتحاق والترالى لجلس الشعب الهندي منذ سنة ١٩٣٩ إلى ١٩٤٦ و إلى مقدمة  
الحركة الكاملة وكانت أول زعيم هدى أخير يشترى أن الوطن على وشك الحرية  
والاستقلال المتظر منذ دهود.

ومدى عشر سنوات من أواخر عمره ظل وزير التعليم للهند في المركز، وأعاد مجلس  
الوزراء المركزية بأراءه وإرشاداته الحيدة اثنية. ولا شك أن وفاته ضربة شديدة  
لأهال الهند ومأساة عظيمة لأولئك الذين تصدوا لتأسيس الحكومة الهندية الحرة على  
أسس جديدة متكرة قوية، وعلى الخصوص لصاحب الفخامة جواهر لال نهرو رئيس  
الوزراء. قال في خطاب ألقاه بعد وفاته في جمع حاشد، مبثا عن التأسف الشديد  
والحزن العميق لرحله.

الآن إلى من أدمت نكبة والانهيار إذا عن لى مشكلة سياسية،  
موفاته طهر خلاه بحسبه. ويتسع ذلك الخلاه من حين. إلى حين فلا  
جبر لهذا الكسر "مادح".

### آثاره الخالدة

ومن أهم آثاره العلمية الخالدة هو كتاب "ترجمان القرآن" في اللغة الأردوية العذبة،  
فهو تفسير لكلام الله العلام على طراز جيد يصل العقول، وينشط القلوب ويملا  
الآرواح نورا و ضياء وطمانينة وقد استفاد في تحقيق الآيات وتفهم مطالبها بالعلوم  
القديمة والحديثة، فهو على هذا يجمع المعارف القديمة والحديثة، وبمطالعة يشعر القارى بل  
يقف بأن القرآن الحكيم جاء هاديا و نبراسا لآى زمان "فلا يطفأ نوره ولا تقف عجائبه".

وله مكنونات كتبها في محبس أحمد نكر إلى صديقه المكرم النواب حبيب الرحمن خان  
الشروانى المرحوم، لكن لم تصل إليه إلا إذا أطلق من السجن في ١٩٤٥ للميلاد. وقد  
جاءت مجموعة هذه المكنونات المسماة بـ "غبار خاطر" على أحسن الرشحات اليراعية

الأدبية العالية في اللغة الأردوية، ليس لها في تلك اللغة نظير في المنشورات الحديثة ولا القديمة، وقد تجلّى فيها قلبه الفنان الساحر بأسمى أساليبه الذي كان فيه منفرداً بذاته. وليس لأسلوبه رحمه الله عندنا لمصطلح إلا أن نقول أن نثره هو الشعر المنظوم. ومن خصائص نثره أنه كان يأتي بالأشعار الكثيرة لشعراء العربية والفارسية والأردوية النابغين فيها، بين قطعات نثره، فتظن أن تلك الأشعار قد قبلت لتلك الموارد نفسها، فيتהל الشعر وينطبق عن نفسه. هذا هو أسلوبه في الموضوعات الأدبية الخالصة.

أما أسلوبه في الموضوعات التاريخية فهو مختلف و يميز عن أساليب إنشاءه في الموضوعات مراعيًا بمقتضياتها وبما يلائمها من نوعة الالفاظ و غزارة المعنى و جلال التركيب و جمال التنسيق و سحر البيان. ويشهد على ذلك كله مقالاته القيمة في جريدة «الهلل» و «البلاغ». وكثير من منشئ زمانه قد اقتفوا أسلوبه النادر القاتن وقلدوا بطرازه الخاص، لكن ما شقوا أنفسهم بنيل ألمهم فقلدوا في سعيهم حتى. أن مولانا المرحوم «فضل الحسن حسرت الموهاني» الشاعر النابغ في الغزليات من اللغة الأردوية اعترف بذلك و قال مصرحاً :

« منذ قرأت منشورات أبي الكلام، لا أجد حلاوة في منظوماتي.

فا زال ولا يزال نثره اليديع العالي منارا شامخا لن يبلغ المشئون الفاضلون قته، إلى عدة عصور وأجيال.

إن لمولانا المرحوم خطبات أنيقة حارة دينية وسياسية، فهي أيضاً نماذج الفصاحة العليا، والبلاغة النادرة المثال، مع أنها تاريخ للهبة القومية الهندية.

### ❦ شمائله النبيلة ❦

كان رحمه الله رجلاً قافياً ومزناً بالأخلاق الفاضلة والسجايا الجميلة. ومن أجل شمائله النبيلة المحمديّة بأن يقتدى بها، أنه ما كان يعارض أبداً أي معارض له ديني أو

سياسي، فإكان يجاوه ولا يخاطبه بالمطاعن والشتائم ولو أنه أحابه منه مثلاً، فبذلك  
نظهر كرامة فطرته الكريمة وقداسته فريخته المعقّية. فهو منفرد بذاته في هذه الأسوة  
الحقة السامية.

وكان هناك في شخصه جوهر آخر خلقي، عالى الثمن، وهو استقلال طبعه وثباته العظيم  
على الطريق التي قضى أن يسلكها وبدأب عليها. فهي أيضاً حجة جديدة بأن نفلدها  
ونمثل بها في شمس حياتنا كلها. فإنا رأينا كثيراً من الزعماء السياسيين أنهم تذبذبوا بين  
مسلك ومسلك، لحاروا وترددوا ونمالوا في حياتهم السياسية من اليمين إلى اليسار  
أو عكسه، ولكن مولانا أما الكلام ما خلق إلا أن اختار مسلكاً قويمًا، فظل مستمرا  
عليه حتى آخر رمق حياته، وهي السجدة الشريفة التي نالت درجة عليا في هيكل أخلاقه  
وقد صرحها كثيراً في صفحات «الذاكرة»، وأنا متيقن أن كاتب سوانح حياته سوف  
لا يصرّف النظر عنها.

ولمولانا سوانح حياته قلته، وهي على وشك الطباعة والنشر. فلعلها ستكون كلمة  
أخيرة في تفاصيل حياته الطاهرة.

وبالحمام أقول إن مولانا المرحوم كان روحاً أكثر منه جسداً، كان عقلاً أعظم منه  
جسماً، كان فكراً أكثر منه رسماً، وكان عملاً أزيد منه علماً، بل كان شعلة جواله من  
نهضة وجذوة من ثورة ولحمة من حياة، وشاراً من الرشيد والهدى لآلاف من  
النفوس في الأيام المظلمة السوداء. ماعنى أن أقول والحق يقال، إن المؤرخ المستقبل  
إذا يورخ تاريخ نهضة تحرير الوطن العزيز من محالب الأجانب، ويتذكر التفديات  
والضحايا في سيلها، ويكتب عن تقويم الحكومة الهندية الحرة على أساس الجمهورية  
المستعينة، فلا بد أن يكتب اسمه السامى على مبدأ فهرست الزعماء الكبار الأخيار  
الاقطاب بحروف ذهبية متلألة لا يذهب رواها بمر الأيام وكر الليالى. طاب الله  
نراه وجعل الجنة مثواه. آمين.

## كلية المغفور له مولانا أبي الكلام آزاد

في الاجتماع العام لمجلس الهند للروابط الثقافية المنعقد في شهر فبراير ١٩٥٨

كان صاحبنا الفريد معتبرا بتوحيد الشعوب العالمية ثقافة و أدبا ،  
فوجه دائما بالغ اهتمامه إلى توطيد الروابط الوثيقة بينها ، و ذلك سعيا  
منه في أن يتعرف العالم بالأسس الصالحة القويمة التي تعتمد عليها  
الانسانية ، وتستمد منها نورا وهاجا للمعرفة والثقافة من أقصى العالم إلى  
أقصاه ، ومن أجل هذا عني بمجلس الهند للروابط الثقافية عناية خاصة ،  
و أشرف على جميع شؤونها بنفسه ، وعقد له اجتماعا عاما في شهر فبراير  
الماضي و ألقى فيه كلمة قيمة . وما كنا نعرف أنها ستكون له آخر كلمة  
ونحفظه المية منا قبل أن يرى أمانيه تتحقق ، ونتحف القراء العكرام  
هنا بتلك الكلمة داعين إلى الله أن يوفقنا لتحقيق الغايات المنشودة .

أيها الأصدقاء !

إني لأشعر بالغبطة والسرور إذ أرحب بكم إلى هذا الاجتماع العام لمجلس الهند  
للروابط الثقافية .

لعلكم تذكرون الحاجة المتزايدة التي دفعتنا - بمجرد استقلال الهند - إلى توطيد  
وتقريب الروابط الثقافية مع دول العالم الأخرى ، أدركنا حينذاك أن أحسن  
وسيلة لتحقيق هذه الغاية هي تأسيس منظمة مستقلة تقوم بمثيل الهند أمام العالم  
وتجمل عمله الرئيسي إزالة المغالطات والخصية المنتشرتين ضد الهند في مناطق العالم  
المختلفة . وضاهتتا ضرورة أن الهند لم تجد فرصة ملائمة - خلال قرنين كاملين -

تطلب على منصة العالم دورها الواجب . وذلك أنها بقيت طوال هذه المدة تتوهم تحت سيطرة الحكومة البريطانية . وتمثل و تظهر للعالم مظهرًا تختاره لها الحكومة البريطانية . ومن الطيب أن هذا التمثيل لم يتفق وصالح الهند أبدًا . وإنما كان مساهداً على تحقيق الاهداف البريطانية . وما إن تمتعت الهند بالاستقلال حتى اضطاعت أن تمثل أمام العالم تمثيلاً حقيقياً وفي موقفها الحقيقي .

وكما تناولنا المشكلة سنة ١٩٤٩ مستقرين نواحيها . وكان التاج المحمد تأسيس مجلس الهند للروابط الثقافية في شهر إبريل ١٩٥٠ . وكان الغرض من تأسيس المجلس - كما يصح دعوته - إنشاء الروابط الثقافية مع الدول الأجنبية . وأن نشاطه الجليل هذا لن ينفذ عدد دولة دون دولة . بل سيستوعب العالم كله من أنصاء إلى أنصاء .

ومن الجلي التام أن تعيد مثل هذا المقرر المتنوع والقيام بمثل هذا النشاط واسع النطاق لا يمكن دفعة واحدة . فقررنا للبداية أن تقدم خطوة خطوة لنضمن نجاح الجهود الأولية ونؤمن الفشل فيها . فأجمعنا على توزيع نشاط المجلس إلى عدة شعب متعلقة بالمناطق المختلفة . واستهلنا العمل بشعبة الشرق الأوسط وتركيا ومصر .

ربما يتساءل بعض الأصدقاء لماذا خص المجلس هذه الشعبة وفضلها على غيرها للعمل ؟ والإجابة على هذا السؤال أوضح والحوافز على هذا الترجيح أبدى منها على التساؤل . فإن الهند أدركت الاستقلال في ظروف أدت إلى انقسام البلاد وخلقت في الجو بيئة مهيئة بالحقد والشحناء والطائفة . مما سبب اضطهاد عدد وفير من الهندوس والسيخ ومذابحهم في باكستان على نحو ما أصاب المسلمون مصائرهم في الهند . وتدقت أمواج اللاجئين على الثغور . ولم يكن لنا داع للشكوى لو كانت الحقائق وصلت هي هي إلى العالم الخارجي . بيد أني أجدني مضطراً إلى القول مع

الأسف الشديد بأن الدولة الباكستانية حديثة الولادة استظلت المأساة ولم تظهر إلا جانباً منها، واتخذت منه وسائل للدعاية ضد الهند، حتى شاعت في البلاد الإسلامية نزعة مؤداها أن الهند انقسمت على أسس الطائفية، ولم تعد الآن إلا دولة هندوسية بحتة، وأن المسلمين فيها — لو تخلف منهم عدد ضئيل — لا يتمتعون بحرية في دينهم أو مجتمعهم. وكفانا مثالا لهذا الاعتقاد الخاطئ السائد في الشرق الأوسط ما حدث في ١٩٤٩ مع الفقيد السيد حسين أول سفير هندي في مصر. فانه أخبر مندوبي الصحافة بأنه سفير للحكومة الهندية، وكان المصريون إلى ذلك الحين حاققين على الهند، فلم يطبقوا الاعتقاد بأن رجلا مسلما يمكنه أن يمثل الهند سفيراً لها. فغلب إليهم أن هنا خطأ، والسيد حسين سفير لباكستان لا للهند. فأذاعت الصحف ونشرت أن السيد حسين أول سفير لباكستان، وطبعت الجرائد المصورة صورته كسفير لباكستان، واطلع السيد حسين على الخطأ وكتب إلى الحكومة المصرية لتصحيح الخطأ، فأصدرت الحكومة نشرة صحافية أوضحت فيها الحقائق. فهذا المثال الواحد يكشف لنا عن الاعتقاد الخاطئ السائد عن الهند في تلك الدول.

ويسرني أن أخبركم بأن الموقف سرعان ما تغير روائياً بعد تأسيس مجلس الهند للروابط الثقافية. وأدركت هذه البلاد قاطبة أن آرائهم وأفكارهم ومزاعمهم المخطئة كانت على غير أساس. وعرف شعوب هذه البلاد أن الحكومة الهندية ليست بحكومة هندوسية خالصة، وإنما هي حكومة وطنية تمثل جميع الهنود.

وأخذ المجلس أثر إنشاء هذه الشبكة يصدر هذه المجلة «ثقافة الهند» أربع مرات في كل سنة. وكانت لل مقالات المنشورة في المجلة أثر كبير في العالم الإسلامي. فرأوا الهند بمنظار جديد وفي ضوء جديد، وقدرت الجرائد المصرية والعراقية والإيرانية هذه المجلة، وأخذت تترجم من مقالاتها إلى اللغات المختلفة أو تقتبس منها. وأكبر كذلك كثير من المؤلفين والكتاب ذائعي الصيت من قيمة المجلة.



وأشادوا بذكر مساهمتها الأدبية. و وجدت بعض ما نشر فيها قبولاً حسناً حتى قامت جمعية عراقية بترتيبها ونشرها كتباً، على نحو ما ظهرت التراجم الفارسية لها في هيئة كتب. وهذا إلى جانب ما ذهب به منها المستشرقون الانجليز والالمان والاطاليون والعربيون إلى لغاتهم.

والجلسة مجلة أخرى فارسية تسمى «هند و إيران» تصدرها الجمعية الهندية الإيرانية للجلس.

وكانت شعبة الشرق الأوسط في البداية قد اجتزأت بمصر على أنها سرعان ما وسع في نشاطها إلى البلاد الأفريقية الأخرى، و افتتحت شعبة تخص بشؤون أفريقيا. ويمكن تقدير نجاح المجلس في هذه الحقول بحقيقة بسيطة سبق أن أخبركم بها. وهي أن الهند كانت تظهر إلى البلاد الإسلامية في غير مظهرها. لكن لم تحض مكان على قيام المجلس أن تغير الموقف تماماً. وتحولت رعاة الشعوب التي لم تتق بالهند ساخا، و أصبحت لها أصدقاء. فـ سودان — مثلاً — دولة مسلمة ما زالت منذ استقلالها متطلعة إلى الهند، فإذا أرادت تنظيم أول انتخاباتها التمس خدمة نخبة هندية، و دعت كذلك أحد الهود لتنظيم التعليم الثانوي من جديد، وعندما احتاجت إلى رجال لمصالحها القضائية فكانت هي الهند التي التفت إليها.

ونمت دول العراق والسودان وإيران طلبتها إلى الهند للتعليم العالي، وكان هؤلاء الطلاب في السابق يؤمّنون أوروباً وأمريكان، والآن يدرس جماعة منهم كثيرة العدد في الهند.

وهكذا ليس يخاف عليكم أن مصر وكوريا وإيران والسودان دعت رئيس ووزرائنا إلى زيارة بلادهم على نحو ما تشرفت الهند بدعوة رؤسائهم ووزرائهم الذين تحدثوا بحماس عن الجو الودي الذي وجدوه هنا. وتيسر لنا صفاء هذه الروابط لأن التحيزات القديمة قد ولت أدباراً. واستطاعت الهند

أن تظهر أمام هذه الدول مظهرها الحقيقي . وأفصح جلالة الملك عامل المملكة  
السعودية بكلمات رائدة عن احترامه الخالص للهند حكومة وشعبا ، ونوه بالطريقة  
السليمة التي يتعاش بها جميع الملل في الهند متصادقين متوادين في كنف دستور  
الهند . وسيركم أن لهذا المجلس أكبر نصيب في هذا التحويل .

وبعد أن أحسنا تنظيم شعبة الشرق الأوسط وأفريقيا واطمأنا على نجاح  
جهودها خطونا خطوة أخرى لتنظيم شعبة لآسيا الجنوبية الشرقية ، فإن الشعوب  
في هذه المناطق — إلى جانب كونها جيرانا لنا — تعزز العلاقات القريبة مع الهند ،  
ومعظم سكان هذه المناطق إما يدينون بالاسلام أو بالبوذية . ولهم أواصر متعددة  
النواحي مع شعب بلادنا ، مما شجعنا على إصدار مجلة إنكليزية باسم الثقافة الهندية  
الآسيوية . ووجدت بين طلبة التاريخ البوذي والثقافة البوذية قبولا حسنا .  
وأصبحت المقالات على هذه المواضيع وعلى اللغة البالية أقوى دوافع لالتفات  
رجال الأدب في هذه البلاد وفي العالم الغربي .

وإني لأشعر الآن بأن حان حين أن نوسع مدى نشاطنا ونجعله متنوعا لكل  
ما نرمى إليه . وستكون خطوتنا الأولى — طبعا — توطيد الروابط القريبة مع  
الدول أعضاء الكومن ويلث . ولى فكرة أخرى لانشاء شعبة مستقلة تعالج الشؤون  
في هذا الميدان ، وتتناول أثر ذلك إنشاء الروابط ومضاعفتها مع أمريكا وأوربا .  
وستعرفون في تقرير سكرتير المجلس ما قام به المجلس من أعمال باهرة بتفاصيلها ،  
على أني أشير — موجزا — إلى بعض النقاط الهامة من برنامجه .

يتحمل المجلس تكاليف ثلاث أساتذة اللغة السنسكريتية والتاريخ الهندي  
مبعوثين في تركيا وإيران وكبوديا .

يقوم الاساتذة في مناطق كاريبيان بالقاء محاضرات ثقافية على حساب المجلس .

وأعدنا برنامجاً آخر لمادة الطلبة ورجال الآدب والعلماء مع عدة البلاد  
الآجاب .

انفس الهنود المتوطنون في خارج الهند إلى المجلس لیساعدهم على التسهيلات  
اللازمة في تدريس اللغة الهندية والثقافة الهندية أفعالهم .

اهم المجلس بالمحاضرات التي ألقاها كثر الرجال من الهند وغيرها . وقدم كثيرا  
من الكتب . معظمها للكتاب الهنود . إلى دور الكتب والجامعات والمعاهد الثقافية  
والجمعية الأخرى في البلدان الآجبية من العلم .

وكذلك ترى تقدما ملموسا في برامج ترجمة الآداب الهندية الكلاسيكية إلى  
اللغات الأخرى . وأخص بالذكر منها ترجمة درامات و مهانهارنا ، ترجمها إلى العربية  
الوديع البشان .

ويسرني أن أتحدث - بوجه خاص - عن الطريقة التي اتخذها المجلس للعناية  
بالطلاب الآجاب الذين يؤمنون الهند للدراسة . وقد سبق أن أخبرتكم بأن كثيرا  
من الطلبة يقصدون الهند من بلاد الشرق الأوسط للدراسات العليا . وهؤلاء  
يحآب من يأتون بلادنا من الدول الأخرى . ويعنى المجلس بالطلبة عناية وسبعة  
المسدى فيرنب لهم الخيمات الصيفية و Sammars و يقيم لهم حلقات للدراسات  
الشرقية في المراكز المختلفة . تعاون الطلبة الوافدين على تفهم التقاليد المحلية تفهما  
يؤهلهم للعاشة في جوم الجديد .

واهم المجلس هكذا بمعالجة مشكلة المساكن للطلبة الوافدين بحيث يتسنى لهم  
مباشرة الأسر الهندية . ومن المقترح أن تنشأ مساكن دولية للطلاب في المدن  
الكبيرة . وبداية في تحقيق هذه الغاية أحرزنا في مدينة كلكتا عمارة نفحة تتوقع  
أن تحول مدينة الطلاب قبل بداية السنة الدراسية القادمة . ولی و طيدرجاء . بأن

الساكن المائتة الدولية ستفتح عما قريب في بومباي و دلهي .

ولعل هذا البيان القصير - على إيجازها - يكفيكم لفهم أهداف المجلس ويحكم  
ملين بعض الالهام بنشاطه المتعدد النواحي ،

ومن البديهي الجلي أن المجلس يؤدي واجباته أداءً فعالاً إذا اهتم أعضاءه  
جميعهم بنشاطه اهتماماً دائماً . وأنا آمل في كل منكم أن يجعل من نفسه متحدثاً  
بلسان المجلس في منطقته وينشئ مراكز رسمية تقوم بتقديم الهند وتمثيلها إلى العالم ،  
وذلك سعياً منا لتحقيق الغايات المرجوة التي تطلع إليها بقيام المجلس .

وقبل أن أستاذنكم أتقدم بأخص الترحيب إلى ممثلي بلاد اوروبا وأمريكا  
الذين اشتركوا في الاجتماع لأول مرة . وإلى ممثلي الدولة الباكستانية الذين هم  
الآخرون يشرفون الاجتماع أول تشریف ، و أرجو أن تزداد الروابط الودية  
بيننا ، فانا انقسمنا على أسس سياسية ، لكننا لا نزال شعباً واحداً بحيث لا يمكن  
تقسيم حياتنا الثقافية إلا على حسابنا نحن . و أرجو أن علاقاتنا مع جميع  
هذه البلاد ستدوم متزايدة وسيكون للمجلس نصيب متضاعف في تقريب شعوب  
بلادنا فيما بينها .

---

## فريد الشرق

محي الدين ابوالكلام احمد رحمه الله تعالى

الأستاذ عامر الأنصاري

أهل اليوم النقي والعشرون من شهر ربيع ثمانية هاجت الهند و واقعة وقعت  
فخرجت القلوب فرحا، ورحلت الغدا كله رحا، وطمست الحكايا كطب  
ورحلت الحال رحاها، ورأيت الأرض رزقا، ففرح الإنسان وقال ما لها؟  
وصاحت لاسبابها، ما هذه الصاعقة التي تصفق القلوب وما هذه البارقة  
التي ترق العيون، وما هذه الصاعقة التي تعصف بالنفوس! هل انشقت السماء  
أو سبرت الحال؟ وأخذ الناس يتساءلون، هل فأجأنا نبأ عظيم أو أرسيت  
الساعة مرماها؟ صدقه الساعى وقال هو نبأ عظيم، وأنى إليكم فليدة كبدكم  
ومجة أرواحكم، الرقيم أبوالكلام رحمه الله، ممد في وحشة هذا الليل الرهيب قلبه  
الذي كان أمس يحيش بالحياة، وسكت عزمه الذي كان يستخف بالشدائد الجسام،  
فارق عنكم الناس العريدين، سقط في أيدي القوم وأمسوا حيارى لا يبصرون  
شيئا، وتصادعت في كل ناحية زفرات الأسف حرارا، وسالت عبرات الأسى  
سودا.

فأما إلا نكة أي نكة . أماجت سميرا في الحشا يطلب  
فلا جسم إلا بالتحرق ذائب . ولا قلب إلا في الأسى يتقلب

كانت العاجلة شديدة، ولم ير القوم أن يستسلموا لها، فاندفعوا فيزعون إلى  
الملك ويمتلون بالظنون، وتندر عليهم أن يهملوا الموت مقرونا إلى أبي الكلام

ولم يطيعوا بأنهم قد دوا روحهم القوية التي كانت تعمهم ، أو سلبوا قوتهم الحيوية التي كانت تعمهم . وحلق بعضهم إلى بعض وتساءلوا في فزع : هل يموت الربان وما زال البحر مضطربا ، وهل يخفى القطب وما زال المركب حائرا ، وهل فقد من كنا نرى فيه عزة لنفوسنا ، ودرعا لديننا ووطننا ، فهل فارقنا القائد والنضال بين الحق والباطل مستمر؟ كلا ، كلا ، لن يفارقنا قائدنا العظيم الذي هدى قافلة الإنسانية . بعد ما كانت تخط مكروبة في مجاهل الضلال وخوادم السبل ، ولن يخلو عنا ذلك الرجل الفريد الذي وصى المروءة حينما كان قوادها الفؤاد يلتمسون زادا كالوحش . أفهل ترك هذا النابتة قومه جارى لا يهتدون إلى طريق؟ تملل الناس بالشك وهرعوا إلى تكذيب النبا ، لكن وا أسفاه ! حقت الحاقة . و وقعت الواقعة وليس لوقعتها كاذبة ، خففت من خففت وقرعت من قرعت .

ارتفعت الإنسانية والناعت المروءة . وانصدعت القلوب وتفجرت الدموع بل الدماء من العيون وهلا النجيب والبكاء من الصدور ، وأصبحت الأمة تشكو شكاة الطائر المبيض ، وقد أخذ بألباسها الذهول وساد عليها الوجوم ، وسرعان ما دوى صوت الناعى في الآفاق ليفجعا ويرجها أى رج ويهز أركانها أى هزا

ولم تشرق الشمس من اليوم المفجع حتى تدفقت الجوع إلى محل الزعيم الراحل مسرعين في دموعهم الهائلة ليزوروا قديم آخر زيارة ، وتساقطوا من كل صوب على مكان طار منه النبا العظيم الذى زلزل العالم زلزالا شديدا وابتلى المؤمنين بلاءا شديدا . فاجتمعوا أمام جثمان المفجور له باكين ناحيين يفسلون باللهموم حبيبهم الذى فارقهم بعد أن عاش بينهم ٦٩ سنة يهديهم فى الرخاء والنعاء ، ويرشدهم فى البأساء والضراء . وألقوا آخر نظرة على من كانت صلته بالأمة صلة روحية ، ومن كان يحسم المشكلات بالقضاء ، ويحل المضلات بالمهاد ،

ويطرد الثواب بانضال، ويدرس المودة والمواخاة، وكان موضع الاجلال  
بيننا أينما حل، حتى اعتبرنا نزوله في مدينة أو قرية تاريخاً لا ينسى، وضاعتنا  
اللوحة والحرقة إذ تذكرنا يوم كنا نهرع في حياته لرؤيته وسماع كلامه، فتوسم  
في أسلبيه نور البلاغة، ونشم من أعطاه ربح العلم وتنخف أمامه من أوزار  
العيش وتبعات الجهالة.

ورأينا، والحزن يقص علينا، أن حبيبنا قد هاجر عنا وفارقنا فراقاً أبدياً،  
فأنا قد وإنا إليه راحمون، ونشكو إليه.

ولما شكوت اشتكى كل ما هـ على الأرض وهنر شرق وغرب

وكما قد فوحنا عما مررنا به من يومين، لحقت قلوبنا، وأخذنا نبتل إلى الله  
شفاعة، ولم يحضر على ما كنا أنا عقده بعد ساعات عديدة، ولكن كان أمر الله  
مقدوراً، وصعدت روحه إلى بارئها وأدركنا الحقيقة المفجعة المحزنة.

أدركنا مع الواحد المتهاك، أن اللحم الذي طلع على سما الهند - لا - بل  
الشمس التي أشرقت على سما العالم وورث أرجاء الأرض لأكثر من نصف  
قرن، قد أظلمت اليوم عن ظلام حالك، ووجدنا أن الفكر الذي جرد نشاطه  
لاستفراء الدقائق وأحد عزمه لاستحلاء الحقائق، والقلم الذي شغل الصحف  
بالمقالات والمناظرات، واللسان الذي عمر الأديبة بالخطب والمحاضرات، والمبسم  
الذي أحبا المجالس بالملح والمحاورات، والنفحة السماوية التي نشرت علينا الأنس  
والقوة، واللين التي أفاضت علينا الجود والكرم، والمنع الذي بث فينا الحكمة  
والمرقة، وجدنا أن مصدر هذه العوارف والمعارف كلها قد استلب عنا، وعلينا  
أن مثابة القصاد من كل فطر وطبقة، وكبة الطلاب من كل ناحية وصوب،  
أيقد عنا وحيل يتنا وبينه ولن تعود نستمتع بغيره غير ذكره.

## كيف الوصول إلى سعاد ودونها • قلل الجبال ودونهم خوف

حلنا جنازته على القلوب لا على الأكثاف، وسلناه إلى الأرض، مرقده الدائم، مساء اليوم نفسه، تفمده الله بقرانه وجعل الجنة مثواه. ووضعنا جسده في باطن الأرض، فانقطع عن صلات العالم الخارجي، ساجدا في سكون الفردوس. لكن احتق كل من كان حول لحده، كأنا آلات ميكانيكية وهنت أوتارها وانحلت عراها، ونهضنا متناقلين يتحامل بعضنا على بعض مطرقين رؤسنا إلا نظرات حزينة، ألقاها بعضنا على بعض، ثم عن الكمد المحرق في القلوب.

نحاول أن نستذكر أبا الكلام رحمه الله وتحدث إليكم عنه، ولكن كيف السيل وما هي الوسيلة إليه؟ فاللسان محصور والقلم مكسور والفكر في شرود، كيف وقد كان له من الحكمة والمعرفة حظ يعجز الوصف عنه.

إلى الله أشكرو من زمانى بواره • فأمسيت فى الحرمان بى يضرب المثل  
فلا ملتجى جاء ولا عز صاحب • ولا مالك يخوفنا قوم ما العمل؟

كان رحمه الله شخصية نادرة، وكان علما من الأعلام ورسولا من الرسل، يد أن لكل رسول ولكل علم ناحية من نواحي الإصلاح تشرق فيه نفسه، وتنتشر في جوانبه سناه.. ويمتاز النابغون بأن لهم عقيدة فطرية قوامها الإيمان، وأن لهم رسالة روحية بلاغها التضحية والجهاد. فمنهم من يمتاز بالناحية الدينية، ومنهم من يسمو بالناحية الوطنية، ومنهم من يحول في النواحي السياسية أو الاجتماعية، وكل واحد منهم يبلغ رسالته على نحو ما بلغ المرسلون رسائل الوحي. وجمع المفقود له بين أشات الرسالة، فكان في الوقت نفسه مرشدا دينيا ووطنيا، وقائدا سياسيا واجتماعيا، على نحو ما كان مثالا للتضحية والجهاد. جعل منذ الشباب الأول عقله وميله ومواجهه وقفا على تبليغ رسالته وقاير عليه حتى قضى نحبه وما بدل تبديلا.



قام مجاهدا يوم تضطرب الهند ويردرد الاستعمار الامة الهندية بأنيابه ويقودها  
القواد إلى الذل والهوان. فبرز أبو الكلام رحمه الله بطلا شجاعا، أديبا، طيبا،  
يحب الامة إلى أن تنبسط من رومها ولا تثبت بالضراعة. ولا تستكين أمام  
المحادث، ولا تنسج من الألم. ولا تسل للذل. ولا تنه عزائمها ولا يهي  
دعائهم. بل تقف في وجهه الثواب وقفة الأسد. وتقاوم الشدائد أنجمع  
المقاومة، وتطرد المستعمرين عن حبسها. وتعال من السمو ما تسأله ناسية في  
هذا السيل كل عريضة ونميمة.

نرى هنا في شهر صوائر المسمى هذا الرجل العذ رحمه الله تاركا بيتنا لأدبه  
وثقافته اللذين عبر الروح وشعاع النفس ونضج المواطف، ورسائله التي تحملنا  
على وقاية الأمانة التي عرست على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملها  
وأشقق منها وحملها الإنسان. وإن نزال تتطلب إلينا روح الفقيه أن نصون  
هذه الأمانة. وهذا الله جميعا. وحمله من الشهداء والهدية كما جملة من  
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

### مولده

ولد أبو الكلام في شهر سبتمبر سنة ١٨٨٨ بمكة المكرمة، وكان أبوه  
الشيخ خير الدين من أجل العلماء و كبار رجال الدين، ينتمي نسبه إلى أسرة  
علية عريقة في الجهد والشرف، أحد أبنائها الشيخ جمال الدين الذي عاش أيام  
الامبراطور أكبر، وشغل وظيفة الارشاد. وكان من إخلاصه للدين أن لم  
يوافق معاصريه على اعتبار الامبراطور أكبر إمام المسلمين، ورفض أن يوقع  
هذه الوثيقة دون أن يكثر لما يواجهه من المصائب. وما زالت الأسرة ذات  
مكانة ممتازة بين الفقهاء والمصلحين، حتى ثارت ثورة سنة ١٨٥٧، وشب الهنود

إلى سلاحهم يدافعون عن قيمهم ودينتهم وتقاليدهم، وبذلوا في هذا السيل كل ما رخص وغلا، مجاهدين بأنفسهم وأموالهم. لكن الدائرة دارت عليهم وأصيبوا بالوان من الاضطهاد والاستخفاف والاستتار. وتسيطر الانجليز على مصائر الهنود بما أرغم كثيرا من الأسر الهندية على مغادرة دلهي وطنهم ووطن آباؤهم، ومن بينها أسرة أبي الكلام التي قصدت مهبط الوحي وألقت في مكة المكرمة رحالها، لتأمن بأنفسها وأعراضها ومكاتها، وعاد الشيخ خير الدين رب الأسرة بمجرد استقراره يشتغل في الوعظ والارشاد، وذاع صيته حتى بلغ السلطان عبد الحميد عاهل تركيا، فبعث إليه يدعوه إلى مملكته، وارتأى الشيخ أن يلي العاهل. فسافر إلى قسطنطينية، وأقام فيها سنوات ينشر الحكمة والمعرفة وطبع عدة كتبه بالعربية والفارسية.

ورجع إلى مكة المكرمة مدفوعا برغبته الملحة في إصلاح قناة زبيدة، ولما طاب به المقام تزوج كريمة للشيخ محمد طاهر الوطرى أحد أبناء العلم والادب، ورزق منها ولدا سماه الأبوان أحمد، تيمنا وتفاؤلا. ومن كان يدري حينذاك أن هذا الوليد سيكون له في المستقبل شأن عظيم!

وأقام الشيخ خير الدين في الأرض المقدسة أعواما، بما حيا لاحد أن يرتضع اللغة العربية من مراضعها، ويتربى على لبانها، ويتروى من مناهلها. وعادت الأسرة إلى الهند كرة أخرى عند ما ألح على الشيخ أنبأه، ثم لم يدعوه يضارهم، فاستقر في كلكتة. وهنا أخذ الوليد الناطق بالضاد يدرس اللغة الأردوية. وبما أن أباه كان من المثبتين بتقاليدهم لم ير أبوه أن يرسل ولده إلى مدرسة أو كتاب، بل اعنى بتربيته وتعليمه في المنزل تحت إشراف الأساتذة الكبار، فأخذ في دراسة المنهاج المتداول المشهور بـ المنهاج النظامي. وظهرت عليه منذ نعومة أظفاره أمارات النجابة والكيانة التي أدهشت أترابه وأسائذته.

ولم يكذب بدرجة في ١٤ من عمره حتى تخرج في جميع الكتب المتداولة، وحفظ أمهات المتن. وكان دائما مكا على القراءة والمطالعة. حتى اضطر أبوه إلى زجره مرارا حرصا على صحته. وأمر بأن يقرأ الأوار بعد الساعة العاشرة في الليل، ويستم كل واحد في الدار. على أن الولد الحبيب المولع بالقراءة اخترع حيلة ناجحة. وذلك أن ادخر ما كان يتعاطى يوميا قرشا قرشا واشترى به شموعا ونورها بعد الساعة العاشرة يقرأ في مسونها الضليل.

وهكذا نشأ نشأة يفتخرون العلم والآداب في صدره وبهم فله حكمة ومعرفة. وبذوق الآداب. حتى وجدت طبعه القدة تله إليه الأشعار وهو في ١٣ - من عمره. وأرسل شاعره إلى مجلة أردوية. أرمغان فرح. فوجدت بين الأدباء والشعراء قولا حسا. وازداد كل يوم دوقا وأدبا حتى سمحت له أن يصدر بمصحة مجلة سماها. برك عالم. أشرف على جميع شؤونها. وبما يدل على بداهة وحمودة طبعه أن بعث إليه مريم. تادر خان. أحد من تلامذة ملك الشعراء عال. وطلب إليه أن يشد مرتجلا. اختارها لدكانه. ففطن أحد إلى ما أراد. وأشد مرتجلا والأستاذ تادر خان ينظر إليه في دهش وحيرة.

ثم خطا خطوة أخرى وشرع في كتابة المقالات ونشرها في مجلة شهيرة. وخدمك فطره. يصدرها الأستاذ حوت راي من لكتنو. وفي أحسن الأخبار. ونخبة أحديه. الصادرين من كلكتة. ولم تنطف غلة الأديبة بهذه الجزازات فأصدر مجلة. لسان الصدق. وكتب فيها مقالات مؤثرة لها قيمتها الأدبية ومكاتها التاريخية تغفلت في قلوب الجمهور باسم كاتبها ونقد أفكار المعاصرين والتقدماء. وقيل من القراء يعرفون أن منشى هذه المقالات ورئيس تحريريات مجلة. لسان الصدق. شاب مترعر لم يكمل العقد الثاني من عمره. بل تمثلوا في أبقاره شيخا منا خيرا. ذاق من الدهر حلو ومره واقطم غمرات الأدب

وملاً منها كيه ، حتى أصبح محكاً صارفاً بدقائق الأمور ومستقراً بحقائق المسائل . فدعاه أعضاء جمعية حماية الإسلام ، إلى لاهور سنة ١٩٠٤ ليلقي في اجتماعها العام محاضرة على : الأساس العقلي للدين . . ولم يكن الشعب قد رآه من قبل . فكانوا منتظرين بفارغ الصبر إلى ظهوره على المنصة . وما من أحد يتصور أن غلاماً حديث السن يجرأ على حديث عن الموضوع الصعب . فخليل إليهم حين رأوه أنه مندوب عن أبي الكلام ليقرأ مقاله ، لكنهم دهشوا وأخذوا بالبابهم حين سمعوه وعرفوا أنه أبو الكلام نفسه الذي يدوى صوته في دنيا الصحافة . ومن طرائف هذا الاجتماع أنه كان من بين المدعوين الأديب الشهير : الطاف حسين حالي ، وكان أحد نقد كتابه : حیات جاوید ، في مجلته ، فلما تعرف عليه ظن أن الشاب ابن أبي الكلام رئيس مجلة : لسان الصدق ، فسأله عن أبيه منوها بأدبه ، ولشد ما كانت حيرته حين عرف أنه يحاطب أبا الكلام نفسه لا أباه . فقال : حالي ، إنه شاب محك حنكة الشيوخ .

### رسالة أبي الكلام

ووقفه الله في السنين الأولى من القرن العشرين أن يطوف بالبلاد العربية ، فزار مصر وسوريا والعراق ، واطلع على جوها الخلق والأدب وفكرها الديني والسياسي . فانطلق فكره من عقائه إلى الآفاق الفسيحة ، وتخلصت عقليته من تقاليد الأسرة والبيئة إلى عالم الإنسانية . فذهب يبحث عن الحقيقة يقتحم كل غمر ويطوف بكل واد ، ويجتاز معامه الشكوك ومجامل الرب وخوادم السبل ، حتى تخطت الدائرة الإقليمية إلى الدائرة الإنسانية ، وكانت تساعد على ذلك طبيعته الصوفية المؤمنة والعسكرية المخامرة ، ورثها من أبيه الذي شهد ثورة سنة ١٨٥٧ ، فكان في نفس الوقت زاهداً في الدنيا ومجاهداً في سبيل الله . وشر في قلبه برسالة تتلوى للظهور .

ووجد الأمة الهندية تعاني الدل والهوان، تحتاج إلى مرشد يرشدها ويهديها، أقامها متخاصبة عن دينها ومكاتها، تلبه منزلتها قائمة بهوانها، وجد المسلم الهندي اتخذ إليه هواه، وأصله الله على علم، وختم على قلبه وجعل على بصره غشاوة، يشفق خطاؤه بالهندي، وينشدق شعروقه بالحكمة، يتظاهرون بالتصديق، ويأفزون بالإيمان، يرمعون أنهم يعرفون الله ويعطون الحق ويحكمون العقل ويوثقون العدل وينسخون السلام، يرمعون كل ذلك وفي قرارة قلوبهم أن إلههم هوام، الحق عديم معناه المصنف، والعقل معناه الحيلة، وأن السياسة معناه المكر والخدع، ورأى أن زعماء الأمة يتهمون زدها كالوحش، وسدوا بأفهامهم عن الأسباب، وبركوها مكروية تحط حط عشواء، واتخذوا الاستعمار منهم وسائل لاصناف القوة الروحية، والقدس في أذهان أبناء الهند أن أمنهم لا يصلح للاستغلال والحرية ومسايرة الأمن، ولا تساهل أن تتمتع بالسيادة والكرامة، وتطلب عليها سلطان القوة مما لم ينك للمثل الأعلى وجود في ذهن، أو للعرض النيل أثر في سمي - أو للشعور الانساني مجرى في حس، أو للسحر الالهي مسمى في نفس، وما من أحد من الزعماء أو العظماء من فكر في مصير الأمة الهندية، وبذلك ما ستؤول إليه هذه الغفلة، فيقوم بتوجيه الشباب توحيا سديدا، وينغم ثقافة صحيحة سليمة، ويرضه لبان الشعور الديني الوطني، ويوحى إلى النشأ الهندي أنه أفراد أمة واحدة تسير إلى غاية واحدة، ضلها أن تكون قاطنة واحدة بمنزلة الروح، متحدة العقيدة، حتى يتصلوا وحدة التكبر ووحدة في الثقافة ووحدة في الاتجاه القومي.

رأى أبو الكلام فواد الأمة برفضون أصواتهم وينادون الأمة المسلمة الهندية إلى أن تمزق السياسة، وتعرض عن جهاد الحرية وتترك ميدان النضال لغيرها، وتقتل الدل والهوان، وتسلم للسمنر وتعمل على تحقيق أهدافه المستعمرة وتقسى مكاتها بين العالم، واختفت من ذهن الابناء أنهم أفراد أمة أخرجت

لناس يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر. وغرب عن بالهم أنهم أمة  
عهدت إليها قيادة العالم، وأنهم هم المسؤولون عن كل ما يحدث في العالم من  
الفساد والصلاح والانحطاط والسمو.

وأدرك أبو الكلام أن أمة مسلمة هندية تريد أن تهرب عن الميدان، و  
تعرض عن الكفاح مع أنها كانت هي الوحيدة التي عرفت رسالتها في سنة ١٩٥٧،  
وأدركت بأن الظروف تتطلب إليها التضحية بكل ما في وسعها، حتى لو تكاسلت  
بل لو اتخذت موقف الانتظار سيكون أمرها مما يرثى له، وأنها ستصح من  
الشعوب المسودة بعد أن كانت سيدة. فقامت بكل ما يمكن للدفاع عن نفسها  
وحريتها وحياتها وقيمها الروحية والخلقية. وجد أبو الكلام أن هذه الأمة  
نفسها تتخاذل وتسلم للذل والهوان، وقد سيطر الخوف على له.

ولم يكن هذا الخسب، وإنما كان هناك أدباء ينشرون الأدب الماجن في البلاد،  
ويقضون على الروح الأدبية العزبة، وكان خطباء وزعماء يساعدون المستعمرين  
بمحاولاتهم المستمرة لصرف الأمة الهندية عن آدابهم وتاريخهم، حتى يستقر في  
قلوب الأبناء أن الأدب الغربي من لوازم المدنية، وأن لغاتهم ولاسيما اللغة  
الاردوية لم تعد أداة للفهم والافهام، وهي لا تصلح لأن تستخدمها في الأدب  
السياسي أو الديني، وأن آدابها لن تولد شيئاً غير الزخرف وليس لنا مناص من  
أن نتخذ من الأدب الأوربي أدباً لهم، ونشرب آبائنا ما فيها من السموم الحلوة.

فكانت هذه الرعة الأدبية، كما ترى، قاضية على الروح الوطنية والقومية،  
ساقطة بالأمة إلى قعر الذلة والهوان العميق الذي لا سبيل لها إلى الخروج منه  
لوسط فيه مرة، فينجح الاستثمار نجاحاً دائماً. وكانت هذه الأفكار تحتشد في  
صدره وتآل من فكره. وتوفي عنه أبوه سنة ١٩٠٩، تاركاً ابنه هلي  
مقاطع الطريق، إما أن يرجع عن كل ما فكر وأدرك إلى اليثة المورثة وفيه

تفه بأفلال التقاليد والأسرة وبأخذ في الوعظ والارشاد على نحو قديم بال، ولا يتعدى صوته حدود المساحد ولا تخطى رسالته نفوسا ممدودة إلى عالم الانسان الفصح الواسع المتمد الآفاق؛ وإما أن يصدر من بيئة ضيقة إلى تلك الانسانية، ويدهرها إلى ما تحتاج إليها. وأشغل أو الكلام فكره في الطريقين حتى هدته عبقرية إلى خلق مكانة جديدة تجمع بين التقاليد القديمة وآفاق الفكر الفسيحة الحاضرة، فأكب على مهم القرآن مها حديداً وتفسيره من ناحية حديثة. ويقول هو في مقدمة التفسير:

مضى لي سبع وعشرون عاماً بالتمام، والقرآن كان موضوع مطالعة لي، دراسة نهاري، ذهب في الفحص والتفكير وراء سور القرآن وآياتها من وكلانها إلى أمد حدوده وأوسع واهيه. فدفق فكري سورة سورة، وحقق نظري آية آية، وقب دراستي لفظاً لفظاً. ولي أن أقول أي قرأت من كل ما يوحد من الكتب والتفسير خطبة كانت أو مطبوعة أكثرها. لم تفت لفكري ناحية من واهي علوم القرآن في ماحنها ومقالاتها، وقالوا عن العلم قديماً و جديداً ولست على شيء من هذا الفضل. فالذي يقال عنه أنه القديم فقد ورثته، وأما الجديد فخلقت به صاى وجملت لنفسى إليه سبيلاً. هو عدى كالتقديم علماً وخبرة.

إن كل ما وهت لي أسرتي وبيتى وأسليت إلى أوضاع الاجتماع والتعليم آيت أن أقتنع به منذ أول يوم. فما حالت دوني شروط التقليد وعوائده في آية ناحية قصدتها. ولم نزل عاطفة الفحص والتفكير من عطشان أبناً حلت.

قل في داخل فتاوى اليوم يقين شاككه الظنون بأصنافها

والوانها، ولي في أعماق روعي عقيدة ابتليت بكل بلا. العصيان  
وعذاب الجحود. ولقد شربت السم من كل كأس واختبرت  
مضاده من كل مستشفى. حينما كنت ظمآنًا لم يكن عطشي  
كغيري، وعندما ارتويت كان مشربي غير المنهل العموي.

وبعد الفحص والطلب طوال هذه السنوات بسطت من  
القرآن كما علت وقدر ما علت على هذه الصفحات.

ما كان حديثًا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل  
كل شيء. وهدى ورحمة لقوم يؤمنون. • ثقافة الهد سبتمبر ٥٨-١٩٥٢م

وما زال بطلنا يعم في كل ذلك ويبحث عن حل حاسم للمشاكل، ورأى أن  
يصدر مجلة أسبوعية سماها الهلال، ليتخذ منها أداة لتبليغ رسالته. قال المغفور له  
في العدد الأول من مجلته:

• رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي  
من لدنك سلطانًا نصيرًا. وبعد، فقد حلت بعين اليقظة النابهة  
سنة ١٩٠٦ رؤيًا، ومكثت سنين متتالية أبحث عن التعبير العملي  
لهذه الرؤيا، وكنت في غاية اشتياق إلى تحقيق هذه البنية، وما  
زلت بين الآمال والعزائم. ولطالما هاجمني القنوط مهاجمة عنيفة  
للتغلب على عزائمي والنيل من إرادتي، لكنني تشبثت بعزمي  
المستحكمة معتمدا على عون الله وواقفا بتوفيقه، إلى أن حان يوم  
أقول: هذا تأويل رؤيائي وقد جعل ربّي حقًا.. ولا يخفى على عالم  
السرائر وعارف الخفايا ما تحيط بي من المشاكل المضيئة، وما تهددني  
من الآلام والأحزان ما تكاد تذهب وعي وتحرمني من طمأنينة  
البال، يد أتنا لا نجد مبررا لترك حياتنا نسير مسطرة وتضيع سدى،



وما لنا نضل كفاتنا بالحديث عن القتل والحية وشكوى الدهر.  
ليت شمري ماذا دعا الناس إلى الإيمان بأن الحياة لابد أن  
تكون مقرونة بالطمأنينة والهدوء. وما بمننا أن نقوم في وجه  
الواب والالام. ألا نرون أن العواصين يسبحون البحر إلى شاطئ  
السلام. فيما يرتد الحائثون وحلا وهم راكعون في السفن.  
ألا إن الحياة مقرونة بالشدائد لا مكان بينها قبل الموت. فهلا  
روص الشاكون الناحسين قدسهم لاحتمال المشاق ومكابدة  
الشدائد، صبروا الأحرار دون خوف وخشية. ولا تنهى أعمارهم  
وهم متفلسون في الأمواج بين الحياة والممات ولا يكادون يعبرون  
إلى الساحل..

أخذ أو الكلام من مجلته أداة لتطبيع رسالته. وكذب الذين يظنون أن  
الأدب الأردوي لا تصلح غير الزخرفة والتشبيب. وأن الأمة الهندية لا تستأهل  
الحرية والسيادة. وناذى الأمة بأنماط لا تزال ترن صداها في العالم، قال لها

• يا صاحبي السحرا أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟  
ما تصدون من دونه إلا أسماء سميتموها أتم وآباؤكم ما أنزل  
الله بها من سلطان. إن الحكم إلا لله. أمر ألا تعبدوا إلا إياه.  
ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون. فيا قوم،  
اعلموا وأدركوا أنه ما قدر له أن يكون سيكون، وما من أحد،  
مها شام، يحول دون حدوثه، وسيأتي يوم تكون الهند قد  
اجتازت عن آخر مراحل التطور السياسي. وسنرى علنا أن  
سيف الحرية التي طلع بها القرن العشرون قد حطم أغلال العبودية  
وقيود الرق التي غلت الهند بها قوائمها.

سيحدث ما له أن يحدث، وسيسجل التاريخ تقدم البلاد وخطواتها في ميدان النهضة. أفلا فكرتم فيما يسجل عنكم التاريخ، وما يخلد لكم صفحات هذا التاريخ، لتكشف عنكم أمام أجيالكم المقبلة؟ ألا استجاء أوراق التاريخ بأنه كانت في الهند أمة مشنومة سنة الطالع، ما زالت حجرة عثرة في سبيل التقدم، واتخذت من نفسها العوبة تتلى بها أطماع المستعمرين، وأصبحت جرحا دائما في ناصية الهند، وجعلت وظيفتها أن تقلب بين أيدي الحاكم الغاشم وتصبح له أداة للفضاء على صالح الانسان والبلاد..

وعلم أبو الكلام بأن الأمة المسلمة الهندية قد حطت من مكاتها حتى لم يبق لها ذهن أو مروءة، وبرأت من كل أمارات الحياة، وأنها وضعت الأغلال على أعناقها ليقودها الحاكم الغشوم ويتراقص أفرادها طبقا لأطماع المستعمر كما يرقص القردة. وما من فرد من أفراد الأمة يكون له فكر يفكر به، أو لسان ينطق به، أو رجل يمشى بها أو يد يقبض بها، وإنما هي أداة للاستعمار فاقدة الوعي مسلوقة الفكر، محرومة الإرادة، مثلها مثل حجر سقط على الأرض لا يتحرك إلا إذا حركه محرك، على نحو ما أصبحت وصمة العار والشؤم على ناصية الانسانية. ختم على سمعهم وجعل على بصرهم غشاوة، لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون. وا حمرناه! إن الأمة المسلمة ذات سيادة وتاريخ حافل بالمجد التي ورثت الدنيا وجعلت خليفة الله فيها وبعثت ليرثها عباد الله من ربهات المبودية، وتعلم أغلال الرق، وتقود الناس إلى عبادة الله خالقها، نيت وظيفتها، وآمنت بأنها أخرجت لتضع الأغلال على أعناقها، وتميد الشياطين والآبالة، وتنازل عن ما سحر لها في السموات والأرض وتغتر بعبوديتها وتبأى برقاها، وتستقر في قر الدالة والهوان وتقرح بها.

أخرجت هذه الأمة لتكون يوماً للخير، تهل من الأرقام الذليلة، وملجأ  
تلياً إليها الأم المستعدة. لعلها اطمانت إلى الخزي واقتنعت بالهوان، و  
أعرضت من الدين الحنيف، وأست محكومة بعد أن كانت حاكمة، وألقت لواء  
الحرية من يدها، ونسبت أبا زلت في شأنها: «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً...»  
وتناست أن وظيفتها: «وجاهدوا في الله حق جهاده..»

قال أبو الكلام:

«إن العقل موهبة من الله وهبها لتستخدمها في الإصلاح، لا  
لأن نصيبها في العلة. فإنا لا نميز بين البقطة والنوم، وبين  
الموت والحياة؟ ولا نذكر فيها يقول عما المؤرخ إذا لم تحامل؟  
وكيف لا نصبح أكادماً. ولا تلهب أرواحنا، ولا تلثاغ قلوبنا!  
وما بمننا أن نفنى بمجروحنا الدامية التي تكاد تقضى على القوة  
الروحية. وأن نرى ما على العيون أن نرى. وأن نقفه ما على  
القلوب أن تقفه. وأن نسمع ما على الآذان أن تسمع؟ ألسنا  
من أتباع الدين الحنيف القويم، وحاملين أمانة الله. وخليفة الله  
في الأرض؟ فإنا بالنا نخاف ونخاذل، ولا نجاهد لأن نصبح  
أحراراً ذوي سيادة، ونستمع بكرامة، ونخطو خطوات، ونخلص  
الأم المستعدة من ربقات العبودية؟»

وإذا أعرضنا ولم نتغل مواهبنا، فيطوى التاريخ ما خص  
لنا من بلب حافل بالمجد والشرف، ويفتح لنا باباً آخر ينفذ منه  
أمام الأجيال أن الهند سعت وراء الحرية وجاهدت في نيل  
الاستقلال، وثادت أبنائها لحل لواء الجهاد، فلبى قوم إلى ندائهم،  
واحتجب قوم آخرون والتجأوا إلى مغارات الغلة. واحسرتنا!

أن هذا القوم كانت أمة مسلمة زاعمة بأنها أمة قائدة الأقوام و  
زعيمة الأمم..

دعا أبو الكلام الأمة دعوة هزت الأعداء وتغلغلت في النفوس، وخاف  
الاستعمار على نفسه وشوكته. فحمر لمقاومته.

وكان مجلة الهلال تنشر يوماً فيوماً غير ساترة أهدافها. وبما أنها كانت نتيجة  
فكر عميق طويل، كانت ضربة كاملة على سياسة « فرق تسد » السياسة التي أتى بها  
الاستعمار معه وبذل كل مجهوده في نشرها. فكانت الدروس تلقى على قلب  
الأمة المسلمة أنه أمة مستقلة لا يجوز لها التعاون مع أبناء الهند الآخرين  
مهما ساءت حالها، وإنما واجبها أن تفرد بذاتها تطالب بالحقوق المستقلة، ولا  
تكثر لموطئها ومهداها، وتشغل نفسها في هذه الأمور التافهة، وترك بلادها  
تداعى أركانها. فأصبحت تعضل الانجليز على الهنود المواطنين، وفوق ذلك  
أخذت تخاف الهندوس ظانة بأن لا ملجأ لها إلا الانجليز، فتشبث بأذيالهم.

وكانت الأمة الهندية حينذاك خطت خطوات واسعة في جهاد الحرية.  
وكان حزب المؤتمر الوطني يوشك أن يرفع صوته لجلاء المستعمر، فقام  
أبو الكلام ونادى الأمة المسلمة على صفحات الهلال نداً جديداً، وعاطفياً  
مخاطبة مبتكرة، و دعاهم دعوة جديدة بأسلوب بديع، ولم توافق الهلال الأفكار  
السياسية المتداولة حينئذ، فلم تكن رجعية السياسة والفكر كما لم تعد الدائرة  
الدينية الصالحة. وخالفت الزعيم محمد علي في عدة مسائل مخالفة راجعة ومقبولة  
بفضل آرائها السديدة وأساليبها المثقنة. وأصدر الزعيم محمد علي أيضاً جريدة يومياً  
« همدرد » لكنها لم تصل أختها الهلال في عمق الفكر وسداد الرأي. ونجى  
أبو الكلام بواسطة الهلال في تغير الأفكار العامة وتوجيهها توجيهاً جيداً  
وخلق في النشأ الهندي أسساً حديثة للآداب ما لها أهمية سياسية واجتماعية، وتأثير

على صفحك الهة مسائل كثيرة ماثقة صحيحة. وقدم لها حلا قبله الناس قبولاً حثاً. ولم تنقطع اللال للباله وكانت عاكفة في قس الوقت على المسائل الدينية والفقيه وعالجها معالجة واقية. ولم يكف أبو الكلام في مثل هذه المسائل بالمقولات بل ناقشها ماثقة عقلية تأثر بها لأفكار ورحب بها العقول. ومكثا كانت الفيود تحطم من عقول الناس وتنها لهم آفاق جديدة للفهم والفكر. وأخذ النشأ الحديد يدركون أنهم لا يبتدون السيل إلى الحقائق لو واطوا على اناع القدماء بدون فكر وروية. وأن الوقت يقتضى أن يمرضوا عن المهادلات العاشة. ولا يصروا على النظريات المتداولة بل يمرضوا عن الماخظات الدينية التي لا تجدى شيئاً. وبحثوا عن الحقيقة.

وكان من براعة الأسلوب والفكر أن اتخذ من كل حادثة وواقعة وسيلة لبعثه. وذكر المسلم الهندي تاريخ الأمم والملل حتى يتبه من يومه ويغبق من خبته. ومازال يجهر بدعوته على رغم المصائب والمشاكل ومراوغة الطامعين. فكان قلبه بين أصبى الرحمن بوجه دائماً إلى الارشاد. ولم يمل إلى الأغراض النفسية والأهداف المادية. وطالب الشباب المسلمين بأن يقوموا ويعملوا. وأخبرهم بأن الأعمال كثيرة والأعمار قصيرة والاسلام في خطر والحرية من حتمهم. فلا جطلوا من أنفسهم جنوداً وأجاوا داعى الله وجاهدوا في سيل الله. ولا يعتمدوا على العدد أو المدة بل يثقوا بمن عنده كل شى. ولا يخافوا في الله لومة لائم. ويخرجوا رؤسهم في طريق الجهاد. إما الموت وإما السيادة.

وكانت الحكومة تراقب الهلال ورئبه ودعوته مراقبة شديدة. وتخاف على سيادتها واستمرارها. حتى عيل صبرها وصادرت الهلال. بيد أن أبا الكلام لم يكن ممن يستسلم للخوف فأصدر مجلة أخرى باسم «البلاغ». وداوم على دعوته. ولكن الأخرى أيضاً صارت مصير اختها الهلال. وأجلت الحكومة أبا الكلام

من مقاطعة بنغال، وليس هذا لحسب، وإنما أخذت المراقبة أوراق تفسير القرآن، وعملت بها ما عملت.

وحينما كان محبوبنا في رانجي شغل نفسه في تفسير القرآن وحل مطالبه وكتب نبذة من سيرته سماها «تذكرة»، وكان قيامه في رانجي قيام دعوة فأصبحت المدينة كعبة الطلاب ومركز القصاد، وكان الناس يؤمنونه ليفهموا معاني القرآن الكريم.

وأطلق سراح أبي الكلام في سنة ٢٠، وكان الهند قد خطت في ميدان السياسة خطوة أخرى، وتعرف أبو الكلام بالزعيم «غادى» في السنة نفسها، وكان هو الآخر من رجالات ديانتته، ولم يكن هناك شيء يجمعها إلا الحاس وعاطفة العمل، فاتفقا واتحدا اتحاداً لم ينفك إلى أن فارقا العالم، وهذا كله مع اختلاف طبائعهما إختلافاً باتاً. فإن الزعيم غادى كان زعيم الشعب يخالطهم ويعاشرهم وينظر بعين الشعب ويعمل بأيديهم بخلاف أبي الكلام، فإنه كان مفكراً مدبراً تقود الأمة دون أن يخالطهم أو يندمج معهم. وبعد لقاءهما واتحادهما من الحوادث التاريخية الهامة، ولا سيما أن أبا الكلام كان حينذاك زعيماً مسلماً وحيداً من وافق على المبادئ الفاندية ولو اختلف معه في بعض الفروع. وبدأ منذ ذاك الحين في تاريخ الهند عصر جديد، لا يزال العالم يذكره، وفتحت السجون لأبي الكلام أبوابها، وبادرت القيود المستعمرة إليه، ولم تغلق حتى بلغت قافلة الجهاد منزلها الأخير وأدركت الهند استقلالها.

وكانت السنان ٢٠ و ٢١ من أشغل الأيام لأبي الكلام. فكان مشغولاً صباحاً ومساءً، ليلاً ونهاراً يخاطب الجمهور وينصحه للاستقامة والمواظبة، ويشجعه على التقدم في ميدان الجهاد، ويصرح للأمة بأن النجاح ينتظرهم ولا يمكن لقوة أن تحولكم دونه، ولا يستطيع الباطل لهزيمتكم مهما زادت شوكته،

يد أن الشرط الأول الأساسي أن تكونوا أقرباء. الإيمان إخلاء الوفاء، مكين على العمل مستعدين للتضحية. ودعا الشعب بوجه خاص إلى اتحاد المسلمين مع غيرهم، والبقاء على السلام والاحتفاظ بالنظام. والمصاهرة على العمل، وأهاب بالشعب الهندي إلى أن يكونوا منهم كثرة واحدة لمقاومة الاستعمار.

وحطرت الحكومة سنة ١٩٢١م على الاجتماعات العامة في نواحي بنجاب وتقدم أبو الكلام وقام يوم الجمعة في جامع شامى، خطيباً يبرز أركان الحكومة بخطابه. ولم تمض أيام أن ألفت الحكومة القبض على «إخوة على» لقرار خاص، فقام أبو الكلام خطيباً وقال:

« إن القرار الذى أتمت الحكومة القبض لأجله على «إخوة على»، ليس إلا مسألة دينية إسلامية يجب على كل مسلم أن يتمسك ويعلم بها، وأنا الذى اقترحت ذلك القرار وواضت عليه، ولتسمع الحكومة أن مثل هذه القرارات ستقترح وتصدر، وإذا كانت هى جريمة فسواطب ارتكابها بدون احتشام..»

وأعاد أبو الكلام قوله هذا مرارا في اجتماعات عامة، حتى اضطر إلى دخول السجن، والبيان الذى قدمه أبو الكلام عند محاكمته أهمية تاريخية لا تنسى، وستذكرها في المقال الثانى. ولما خرج الفقيد من السجن كانت السياسة الهندية قد تغيرت تغيرا كبيرا، وكانت سياسة «فرق تسد» شائنة ناجحة، وأخذ الزعماء يتلون على أبدى الشعب بلايا شديدا، وأصبحت جمعية عظيمة من المسلمين تطالب بأن المسلمين أمة واحدة لا تستطيع بأية حال أن تتعاون مع غيرهم. لكن كان أبو الكلام رابط الجلوس ثابت العقيدة، لم يتزحزح عن عقيدته، ومازال يدعو إلى وحدة الشعب، وقضى في هذا السيل ما قاماه وعانى ما عاناه، وكان من شدة العقيدة أن قال:

• لو نزل ملك من الملكة من سحب السماء على «منارة قطب» ،  
وينادى بأن نيل الحرية يمكن خلال ٢٤ ساعة بشرط أن يتنازل  
المسلمون عن وحدة الأمة فأجيب على هذا الداعي بأنى أريد اتحاد  
الشعب ولا أريد الحرية ، فان معنى التأخير فى نيل الحرية ، هو خسارة  
للهند لاغير ، لكن الحرمان من الاتحاد هو خسارة لعالم الانسانية كلها..

ولما خرج من السجن وجد الحزب الوطنى يكاد يتشقق خلافا فيما بينه ،  
فكان هو أبو الكلام الذى أزال الخلاف من بين أعضائه ، وحل الاختلافات  
الداخلية تحليلا بديما ، فقال :

• إن الاختلاف إذا كان فى الأصول فلا بد لكل واحد من  
الثبات على العقيدة والتأكد من رأيه ، وأما إذا كان الاختلاف فرعا  
فلا ينبغى الاصرار حتى يتعطل العمل وتذهب الكفاءات سدى ،  
وتضيع الأعمار عبثا..

وكان تحليل المشاكل من ميزاته ، فكان يدركها إدراكا تاما ويقدم لها  
حلا مفصلا ولم يدع المواطنين أبدا تنال من فكره وعقله . فكانت المشاكل  
الوطنية والسياسة ترفع إليه ، لانه كان المفكر الوحيد لحلها ، دون أن ينحيز  
لجانب أو يتأثر بعامل . والتمس دائما الحق ، وقضى بالحق ولو كان يخالف  
أصدقاءه . ويعرف أصدقاءه أنه عمل على نشر الحق معهم ولهم وعليهم . وكل  
ذلك يرغمنا على التفكير بأن هذه القوة والروح والصفاء لم يكن إلا مستمدا  
من منبع روحى لا نزاع ، وكان حلما يحتمل المشاق والفناء بيسة ، وحدث  
مرارا أن خرج يدعو الناس إلى الجهاد والتفانى فى سبيل الاستقلال ،  
فكذبه القوم وعامله معاملة سيئة قاسية ، حتى بصق بعضهم على وجهه وجبه  
سبايا ، لكنه تحصل كل ذلك بصبر وأناة ، ولم يزل قدمه عا وضحه عليه مرة .



وشكا أحد أصدقائه إليه مرة أن كثيرا من الشعب الهندي لا يعنى إليه  
وإيه بابا فاحشا، وذلك أن ثقافات الشعب الهندي وتقاليدهم تختلف فيما  
بينها كل الاختلاف، فأمر لم أن يعيشوا مجتمعين متحدين، فبسم وقال:

هذه هي الغبة، ألا ترى أن نباتا لا يعجب أحدا إذا كانت  
الأزهار فيه على لون واحد وطراز واحد، ولا يلتذ أحد بياقة تكون  
أزهارها ذات لون وعمق واحد، وإنما مهمة البستاني أن تثبت في  
حديقته أزهار متنوعة اللون مختلفة الأوصاف، فيشكل منها باقة.

### سنة من أسلوبه الأدبي

وكان المفيد صاحب أسلوب جذاب طريف لم يهتد إليه أحد من أدباء  
اللغة الأردوية ما بين قديم وجديد، ولا يسع أحدا أن يصف هذا الأسلوب  
الرائع البديع المحرز، فانه جامع بين واه مختلفه تناسب كل موضوع وبحت.  
فجد له أسلوبا في المقالات الدينية والخطب العامة، وأسلوبا في الوادر التاريخية،  
وأسلوبا في القطع الأدبية الساحرة، يمتاز بعضها عن بعض لكن روحها واحدة  
ومنها واحد، تنصب منه تسميات بليغة رائعة تحرك النفوس وتثير الإعجاب.  
وكان أسلوبه على اختلاف فروعه يفرى بالتقليد، لكن عجز المقلدون دونه، ولم  
يلغ أحد ما كان للفقور له من القدرة البانية والوصف الوقيق، وصدق  
التصوير، وبراعة التصوير، فكان يصف الحوادث وصفا بليغا مصورا من غير  
إيهام ولا عي، لم يخذله قله ولم يخنه فكره، ولم يتخلف عنه مدد اللغة، جمع بين  
الأساليب الأدبية والأساليب العلمية ومزجها وخلق منها أسلوبا جديدا تصاغ  
فيه المبادئ العلمية والدينية والأدبية صوغا بديعا يتدفق بالحياة ويوسع آفاق الفكر.  
وكان قله ولسانه يشران الدور المنظومة، فلو كانت محدودة بالقوافي لقناها

أشعارا . وكان يكثر من الأشعار في مقالاته وخطبه ، لا لترصيع والزينة . وإنما جعل منها دائما جزءاً من الكلام لا يستطيع الاتفكاك ، فلو أفرزت هذه الأشعار لنقص الكلام . وكان حافظاً لأشعار لا تمد ولا تحصى ، وكان كل واحد منها تابع وصيف لذاكرته استحضره متى وأينما أراد . وكان في كل ما كتب أو تقوه تقيا صافيا ضافي اليان ما يملأنا سرورا ولذة ، ويخلق فينا ثقة وإيمانا ، ويرغبنا في الاستزادة منها ، ولم ينبع في أسلوبه أحدا من القدماء أو الحاضرين ، وإنما ابتكر لنفسه أسلوبا تغفل في مدارس الفكر والأدب وامتازت به مكتبة الآداب الأردنية ، لحرية وانطلاقه وحيويته وجماله . وكان هذا بفضل الفقيه أن تجلت عبقرية اللغة الأردنية وسعها النادرة ، وأدرك رجال الأدب أنها إحدى اللغات التي تستطيع الوصف البديع لدقائق الحياة وخوارج النفس ، وتتمكن من التعبير الرقيق عن خواطر ومشاعر وكيفيات نفسية . وعلى السبب في ذلك أنه لم يكن من الأدباء الذين يتخذون الأدب حرفة ومكسبا ، ويحتكرونه ويتنافسون في تنميقه وتزيينه ليصلوا إلى أغراضهم أو يثبتوا براعتهم ، فتبقى تاجاتهم الأدبية لا روح فيها ولا قوة ولا متعة ولا طرافة . وكان أبو الكلام على عكس ذلك أديبا كرس حياته للأدب ولم يقيد نفسه في قيود ، تخلف ثروة أدبية ذات قيمة فنية عظيمة .

وكان من سحر أسلوبه يسخر القلوب ويملك على نزعات الجمهور ، كما حدث مرة أن ألح عليه بعض أصدقاءه ليلقي خطبة في اجتماع عام ، وكان الجو لا يلائم أحدا ينطق بكلمات الوحدة ويدعو الشعب إلى الاتحاد ، تخالف البعض والنفس إليه أن لا يجرأ على الخطاب . لكن أبا الكلام تبسم واستعد للحاضرة ، وكان أعداؤه بالمرصاد ليمطروه أحجارا ، وما إن أخذ الخطيب البارح يخطب حتى صرف قلوبهم ، فإذا هم يكون ويخشعون ويستمعون إلى الخطاب ساكنين

صانين كان على رؤسهم الطير.

ويعد كتابه "غبار خاطر" من أروع ما كتب في الأدب الأردوي وهو  
بمجموع الكتابات التي كان ينسجها العقيد حين كان في المعتقل الانجليزى.



## وا مولانا أبو الكلام !!

دموع تلمذ على وفات أستاذه

للأستاذ السيد أبو النصر أحمد الحسيني

أواه !! تحرقني اليوم لوعة، وتأخذني رجفة حين أتناول القلم لأندب على هذه الصفحات من كنت بالأمس أرد عليها مناهل علمه، المنبثقة من ينابيع صدره، والمنبجة من معادن فكره، في شؤون غلبة مختلفة، وضروب بلاغية متفرقة، تذوب ظرفاً، وتقطر حسناً!

وا أسفاه !! كيف أدب اليوم من وفات محامده، وحمد وقاؤه، وصفت موارده، وورد صفاؤه، وترفع قدره، وقدر ترفعه، وقام شاهد يانه، وشهد قيام نياه، فاني:

لم أدر هل خطب ألم بساحق؟ • فأناخ أم سهم أصحاب سوادي  
أقضى الميوت فأبكت بمدامع • تجري على الخدين كالفرصادي  
ما كنت أحسني أراع لحادث • حتى منيت بها فأومن آدي

• • • •

حنانك يارب !! أ في الساعة التي يضطرب فيها بحر الشرق بدساتر الاستعمار الدينية والثقافية والسياسية، وتحار فيه مراكب الاسم، وتبتد عنها المرافء، تموت الرمانة، وتحتقن الأنطاب !!

أ في الساعة التي يسترفيا النضال بين أم الشرق والغرب للحرية والكرامة، والعباءة والتقدم تسخط الكأاة، وتخطف الحياة !!

رباه !! في كل يوم تجارب في الشرق أصداء الأسي على بطولة تؤدي، أو زعامة  
تخلو، أو نبوغ بطن !!

في شهر ديسمبر الماضي وارت الهند في التراب يجرع شديد بطولة في العلم  
والنفوس، والحركة في الجهاد السياسي في شخص مولانا حسين أحمد المدني الذي وصفه  
عالم مصري شهير حين عرّفه وسبق غوره بأنه رجل جمع صفات قل أن تجتمع في غيره  
من زعيم، أو قائد، أو عالم !!

وفي أوائل ميراث الماضي بورت مصر تكبد عظيم طوداً من العلم، وبطلا في الجهاد،  
وقدوة في النفوس في شخص الشيخ محمد الحضر حسين التونسي أول شيخ الأزهر في عهد  
الثورة بمصر، حدثه !!

وفي أواخر ميراث المذكور أهالك الهند التراب بحسرة ملثانة، ودموع هائلة،  
على حل شامخ من العلم، ومثال يادر من الزعامة، ونوع شاذ في الأدب في شخص  
مولانا أبي الكلام أحمد !!

• • • • •

واحرنا !! اليوم انقطعت صلي الماشرة وغير الماشرة بمولانا انقطاعاً كلياً  
وهي التي دامت حوالي أربعين سنة، كت فيها أشتى مرة من قلبه، وطوراً  
أشيم بارقة أدبه، ونارة أرد ساحل بحره، ومرة أشتكف قطر مزنه، وطوراً أظف  
نمار رسالته، فنقع موقع الرى من ذى القلة، والشفاء من ذى العلة !!

فوداعاً يا مولانا !! لقد تركت شعك بعد أن فت بخدمته المتواصلة خمسين سنة  
في تباين فك !! وهو أكبر دليل على سمو زعامتك! وعلو منزلتك! فان سيدنا علياً  
رضي الله عنه أظن قلاً بكثير: يهلك في قيان حب مفرط، ومبغض مفرط. فتباين  
الناس في رجل برع على رضة مركزه، إذ هي صفة أنه الناس وأبعدم غاية في  
مراتب الدين، وشرف الدنيا.

أما سياسة العوام فليس على الأرض عمل أكد منها لأمله . إن رضا الناس جميعا  
به لا ينال . قيل لبعض العرب : من السيد فيكم ؟ قال : الذي إذا أقبل جنابه ،  
إذا أدبر اغتناه ١١

فاغتيابك يا مولانا ! سواء كان بالهند أو بالخارج ، إذا جردناه عن الدسائس  
لاستعمارية التي اشتغلت لتفريق الشعب الهندي ، وتشويه الحقائق ، وكذلك استئفينا  
أثك الطبيعة الانسانية ، وجدنا معظمه مبنا على عدم فهم طبيعتك ، ومبادئ حياتك .  
تمنى أن نوفق لنشرها تفصيلا ما دامت سير العظماء والزعماء تراثاً يرثه نسل بعد  
نسل ، وقبلاً يستنير به جيل بعد جيل . والله ولي التوفيق !

• • • • •

والله ! أقمرت اليوم رباع الفضل كانت إلى الأمل بملك عامرة ، وذبلت  
باض الأدب كانت بالأمس بيانك باصرة ١١

وأي يحد الشعب الهندي مجالك التي كانت كالبنان في الخريف ، أشجاره باسقة ،  
أثماره يانعة ، وأزهاره منورة ، وأثماره مصردة ! لكل عين فيه منظر ، ولكل يد فيه  
نطف ، ولكل فم فيه مذاق . ينطق فيها لسانك . فيضع الهناء مواضع النقب ، ويقل  
مز ويصيب المفصل ، لا تعترضه لككة ، ولا تقف به حبة ، يقدم كل أفوه ،  
يسكت كل ناطق ، ويحير كل ليب ١١

والأسف ! خسر الأدب الأردوي بالهد بفقدك في البلاغة بطلا من حماته ، وفي  
لغة قاتما من كاته ! وتتطلع اليوم العيون إلى مكانك الموحش في حيرة زافرة ،  
رعد كظيم ١١

وأما أنا ، وإن رنمت بالأمس في رياض أفاظك ومعانيك ، والتقطت الدر  
ثور من مقاماتك ، ولكن اليوم فني قلب من فراقك نار لا تخمد ، وظليل لا

يرد، ووجد يتجدد!! أواه!!

أخض الإفرات وهي صواعد! • وأكفكف العبرات وهي جوارى!!  
وشهاب ناز الحزن إن طأوعته • أورى وإن عاصيته متوارى!!  
وأكف نيران الآسى ولربما  
على النهر فارتمت بشرار!!  
أكرم الله مثواك يا مولانا وتغمدك بحائب رحمته!!.

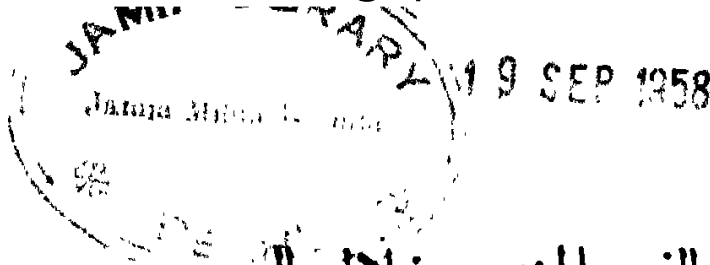
القاهرة

(عاصمة الجمهورية العربية المتحدة)

تليذك الحزين

السيد أبو النصر أحمد الحسيني





## الفن الهندي خلال العصور

ليلة ألقاها المغفور له عند افتتاحه المعرض الفني بـ «نيو دلهي» ٦ نوفمبر ١٩٤٨

تعريب: الأستاذ صدر الدين

أقدم إليكم غاية الشكر والامتنان على عنايتكم بهذا المعرض للفن الهندي، وعلى ادرتكم إلى تلبية رجائنا لفتحه.

إن هذا المعرض الذي نظمته لكم وزارة المعارف الهندية غير مسبوق بنوعه و نام في الهند لأول مرة. وأنا لوائق بأنكم ستوافقون على أنه لا يبلغ برنامج من ايج التعليم القومي قة كماله إلا أن يخصص فيه للفن الوطني مكان مناسب، والمعرض لحالي أوضح دليل على إدراكنا هذه الحقيقة، ويمتاز بأنه أول خطوة إلى الهدف قى تطمح إليه وزارة المعارف. ومن مزايا هذا المعرض أنه تمثل خمسة آلاف نة متتالية من التاريخ الهندي في مجده وشرفه، ومن هنا نعرف بسهولة ما له من مة من النواحي التعليمية.

ويجدر بي في هذا المحل أن أذكر لكم موجزا كيف وقفنا إلى جمع هذه التحف لعروضة.

أظهرت «الأكاديمية الملكية للفنون» في لندن عنايتها الخاصة بالفنون الشرقية، و لك قبل أن تنشب الحرب أظفارها، فأقامت في سنة ١٩٣١ معرضا للفن الايراني، نظمت في سنة ١٩٣٥ معرضا آخر للفن الصيني. ولما وضعت الحرب أوزارها أتت الأكاديمية أن تقيم معرضا مماثلا للفنون الهندية، ورحبت الحكومة الهندية لاقتراح ترجيا حارا، وأكدت بمساعدتها الممكنة، وكان نتائجها الحميد أن تقرر



قيام المعرض للفن الهندي في لندن .

وأجمعوا على أن يحيطوا، تمثل الهند من الناحيتين التاريخية والفنية مبدأ رئيسيا لانتخاب التحف، وكلما نعرف أن التحف الفنية منشورة في أنحاء البلاد، وليست مكنزة في متحف خاص. فبما ما تملكه الحكومة المركزية، ومنها ما تحتفظ به الأقاليم، ومنها ما توجد في الإمارات الهندية، وتلك علاوة على التحف النادرة التي يحرص عليها أفراد. فكان المعلوم أن يعمد إلى خبراء الفن اختبار التحف وانتقاء ما يناسب منها. وتحققا لهذا الغرض شكلت لجنة تحت رئاسة السيدة «سروجني نايدو» ودعى ثلاثة خبراء من إنجلترا لتنفيذ أوامر اللجنة، وأقاموا بجولات في البلاد من أوصافا إلى أوصافا واختبروا ١٠٠٠ تحفة أثر الاختبار الدقيق وأرسلوها إلى إنجلترا في ٢٢٩ علة .

وبدأ المعرض في «برلكتن هاوس» (لندن) في اليوم الأول من شهر ديسمبر ١٩٤٧، ودام إلى شهر فبراير ١٩٤٨ .

وكان المعرض سعيًا ناجحًا ووافيًا بالغرض الذي جمعت التحف لأجله. وعندما حان يوم إعادة التحف إلى الهند، رأت وزارة المعارف الهندية أن لا ترد هذه التحف الفنية إلى مقراتها قبل أن تعرضها مرة في بلادها. فانه من البديهي الجلي أن إهداء مجموعة قيمة كئلاها لا يمكن كل يوم، ولا سيما حين كان المعرض في لندن نتيجة انتحاب دقيق بين جميع المجموعات الفنية الموجودة في البلاد. وكانت-ولا ريب-أروع مجموعة من الفن الهندي، وأكبر مساعد في دراسة تاريخ الأمة. وبما أن الحاجة إلى إحياء ذكرى البلاد لم تكن في الماضي أكثر منها في الظروف الراهنة التي نمتاز بها بعد نيل الحرية، أجمعنا على عرض التحف عند نهاية العام قبل إرجاعها إلى ملاكها.

وكانت المرحلة التالية هي اختبار محل يليق بمثل هذا المعرض الثمين، إذ كنا

في حاجة إلى عمارة تفي بكل ما يتطلبه المعرض، وتسع ألف تحفة على اختلاف أنواعها حتى تنسقا تنسيقا كامل الافادة. وهنا أخذتني مخيلتي إلى الغرف الواسعة لـ (Government House)، وكنت كلما مررت بقاعتها الفخمة شعرت دائما بدافع قوي يحدث إلى: يا لها من روعة متحف أو مكتبة تشغل هذه القاعة !

وعلى الشاعر الفارسي لم ينشد إلا صدى خواطري هذه حينما تمنى على كعبة الله أن تتحول معبدا للنار:

هـ ابن خانه بدین خوبی آتشکده بایستی هـ  
(ما أجل البيت، ليتسه يكون معبدا للنيران).

يا صاحب الجلالة ! أنا شاكر لكم على تشریفكم بتلبية ندائي بمجرد أن عرضت الفكرة عليكم، وسرعان ما خيرتم وزارة المعارف في هذا الجزء من الدار الفخمة فهذا بفضلكم ومنكم أن نرى المعرض الرائع في هذه القاعة.

وطلبنا إلى مصلحة الآثار التابعة لوزارة المعارف الهندية تنظيم شؤون المعرض وكونتا لجنة تنفيذية تحت رئاسة سكرتير المعارف، وتسلم المدير العام لمصلحة الآثار وظيفة سكرتير اللجنة. وكان العمل صعبا هاما يقضى بالحيلة البالغة. على أن تغمرني موجة الفرح إذ أشكر عدة المصالح الحكومية التي بادرت بموظفيها بمهام كامل إلى كل خدمة طلبت إليهم. ولا أحشم في اعترافي بأنهم هم الذين يعود إليهم الفضل في نجاح المعرض.

و أذكر لكم الآن بعض ما يمتاز به هذا المعرض المحيط بالفن الهندي كامل الاحاطة والذي يمثل الفن الهندي منذ ٣٠٠٠ ق.م. إلى القرن التاسع عشر الميلادي.

ينقسم المعرض إلى خمسة أقسام: النحت (Sculpture)، والتماثيل البرونز (Bronze Images) والصور الملونة (Painting) والمنسوجات (Textiles) والفنون الدقيقة (Minor Arts).

ويشتمل قسم النحت على التماثيل والتحف البنية والمجوهرات من عصور مدنية  
وأدى المهندس إلى العصور الحاضرة، ولي أن أخص بالذكر:

- ١- طاحنة الثور من تاج القرن الثالث ق.م. وهي نموذج رائع للفن الآشوكي.
- ٢- حامله المروحة من تاج «بته» نفس القرن وهي مطلية بالطلاء «المورى» اللامع،  
ولا حاجة إلى ذكر ما فيها من روعة وجمال.
- ٣- تماثيل النسوة المحونة من الحجر الأحمر، مما أعقبها فنانو «متهرا».
- ٤- تماثيل غلم لودا القائم، يعود تاريخه إلى القرن الخامس، وهذه كلها إلى جانب  
النحوتات الأنيقة من معابد «أورييه» و«ميسور» مما خلفها رجال القرنين العاشر  
والحادى عشر.

و أما الفن البرونزى فمجدد مثملا في أجل آياتها الموجودة في البسلاد، فاليكم  
تمثال شهير من القرن الثانى عشر يمثل «شيو» أو «ناتاراجا» فى «الرقص  
الكازميك» Cosmic.

وموجز القول أن القسم يحملته بكشف لنا عن تاريخ البرونز الهندى فى  
أدوارها المتابعة، فمعرفة منذ عصر راقصة شهيرة لـ «موهنجودارو» حتى نماذج  
فون «تاكبلا» و«بنغال» و«الهد الغربية» و«مدراس».

ويحفظ قسم الصور الملونة على ما يقرب من ٣٥٠ آية من آيات الفن، تمثل  
المدارس الفنية قاطبة: ففى فيها المدارس البالوية البنغالية، والكجراتية، والراجستانية،  
والجلية المتاخمة لمالابا.

ونرى من آيات المدرسة البالوية عدة مخطوطات على أوراق النخل المتداولة فى  
القرن الحادى عشر. وهكذا نحتوى المدرسة الكجراتية على نماذج رائعة. ونجد  
فى القسم الراجستانى سلسلة رائعة من «راگ مالا» فى ألوانها اللامعة، وهى من

مجموعة « تريزرى والا » Treasury wala . وما يبركم أننا اشترينا هذه المجموعة للتحف الأهل وتعرض على الشعب لأول مرة .

ونرى المدرسة « الكانگریة » متمثلة في صور « رام لبالا » من منتجات القرن الثامن عشر ، وكان أزهى عصور المدرسة .

وهنا نماذج و أمثلة تجهر بمزية المدرسة « المغولية » من بينها صورة بديعة من صور « حمزه نامه » ملونة على القماش ، وكانت إلى هذا الحين في معرض الخفاء خاملة . وأرى أن أشير بصفة خاصة إلى صور « رزم نامه » ( الترجمة الفارسية لمهابهارت ) وصفحة من « درب نامه » وصفحتين من « تاريخ الالفي » وثمانية أوراق من « عيار دانش » وكل ذلك من مخلفات عصر الامبراطور « أكبر » .

وهنا مجموعة أخرى نادرة من صور « راگ مالا » ، أسلوبها مولد من الأسلوبين الراجوتى والمغولى ، وكان متداولاً أيام الامبراطور « جهانگیر » ونرى فيها الامبراطور نفسه ، ولا شك أنها من أهم المعروضات . وهذا كله إلى جانب صور الامبراطور « شاهجهان » و « جهانگیر » وغيرهما من الشخصيات الممتازة .

وفي هذا القسم عدة وثائق خطية أخرى ، تمتاز بخطوطها البديعة النادرة ، فمنها وثيقة مخومة بخاتم « حميد بانو بيگم » والدة « أكبر » ، ومنها نسخة ثمينة للقرآن الكريم ، نسخت في سنة ١٧٨١ « آصف الدولة » عامل أوديه أعارتها إلينا مكتبة « رامبور » .

وأما المدرسة « الدكنية » فتمثلها صورتان رائعتان كبيرتان لموكب غلم لـ « چانديبي » ووصيفاتها و « عبد الله قطب شاه » .

ويشتمل قسم المنسوجات على نماذج جميلة للساريات الحريرية الموشاة المذهبة ،

عليها من «أحمداباد» و «أورنگ آباد» و «سورت» و «تجور» . وهنا نموذج  
الفن الكجراتى المناز من طراز Tie & Dye يمثل المصيد والرقص .

ومن الفنون الدقيقة نموذج خشبي مطعم بالعاج من آيات «ميسور» ، وخناجر  
ذات المقاصص البشمية وسيف من العصر المغول . وهنا ترس منقطع النظير من  
ممتلكات الإمبراطور «أكبر» . وفي وسطه صورة شمس يدور حولها الاثنا عشر  
رمزا للزدياك .

سادنى الكرام، إن ما قالوا عن الفن كثير و أكثر منه ما سيحدثون عنه في  
المستقبل، إلا أن أهم ميزته - كما أرى - هي نابعته التاريخية. وذلك أن فن كل أمة  
يمثل تاريخها تمثلا مرئيا مشعورا، بينما الوقائع المدجلة في دفتى الكتب تبقى قاصرة،  
عن إرائتها وإنما تكو بالحديث عن الماضي، لكن الفن - على العكس - لا يجتزئ  
بالحديث وينعدي دائرة المقال إلى الازمنة، فنرى فيه التاريخ حيا نشعر به وتتأثر.

ومن ثمة، نقف أمام تماثيل وأشكال ناطرين إليها ونقرأ منها تاريخا مفصلا  
لقرون متتابعة، وإن تماثلا واحدا لـ «أبولو» أو «فينوس» - على سبيل المثال -  
ينفذ بنا إلى دقائق الحياة ويطلعنا على عقلية اليونانيين أكثر عما نفيده من خمسة  
آلاف صفحة من الكتب.

وسنجدون في المعرض تماثلا رائعا لبوذا في وقوفه يرجع في تاريخه إلى القرن  
الخامس، فإذا وقفتم بين أيدي هذا التمثال لمدة دقائق منصتين إلى المناجاة الصامتة  
المنبعثة من الحجارة، فسندرسون - خلال ثوان - من تاريخ الهند القديمة أكثر مما  
نعرفون من مئات صفحات التاريخ التي كتبها عباقرة التاريخ.

ويضمن مثل هذه المعارض جانبا آخر لا يقل أهمية. وهو أن الفن وسيلة لتربية  
المواطن، ومن أجل هذا عنصر أساسي لكل مشروع يهدف إلى التعليم الأعلى

ة، وليس لنا أن نعتبر التعليم—سواء كان في المرحلة الثانوية أو الجامعية—تأما  
: إلا أن يربي كفاءاتنا لفهم وإدراك الجمال. ولا أجد مناصا من الاعتراف  
الترية الفنية مصابة بالاهمال المؤسف، ولم يعن بها لا من حيث كونه مخزنا  
مخ القديم، ولا من ناحية الجمال.

ولا شك أن طلابنا يقومون برحلات على حسابهم أو ترشدهم معاهدم إلى  
ف مثل « المتحف الهندي » في « كلكتا »، ومتاحف « جيور »، و « ميسور »،  
حيدرآباد. وهذه الرحلات على قلتها تخلو من اهتمام واجب فضلا عن  
مال في دراسة الفن و اعتبارها عنصرا أساسيا من الدراسات العامة.

و وافقت وزارة المعارف على عدة مقترحات ترمي إلى تثقيف حياتنا و تمويلها  
الفن عنصرا للتعليم الثانوي والجامعي. ومن الظاهر أن تحقيق هذه المقترحات  
نذ بعضا من الوقت، ومن أجل هذا أرجوكم أن تروا في المعرض الحالي فاتحة  
نستهدفه، ولي أمل واثق بأن هذا المعرض سيوقف في كل منا شعورا حيا  
ي و بالفرح والاعتزاز بالتقاليد القديمة—بل سيحفزنا إلى إنعاش مدركاتنا حتى  
. أناقة و جمالا في شؤوننا اليومية.

يا صاحب الفخامة، أرجوكم—و أنا مغمور بالفرح—أن تتكرموا بتدشين المعرض.

(من مطبوعات مكتب النشر الهندي)

## الشعب الهندي يرثي الفقيد الكريم

للأستاذ ناصر الأنصاري

غصت ميدان درام ليلا، يوم الأحد بالجمهير التي لا يحصى عددها وقد  
اجتمعت لرثاء الراحل الكريم، مولانا أبي الكلام آزاد، وشوهد السيد نهرو،  
رئيس الوزراء، قد اغرورت عيناه بالدموع عندما نهض متاثلا متحاملا وقال:

قد يستطيع الزمن التخفيف من هول المصاب، ولكن أنى لنا  
أن نسد الفراغ الذي شغل في القلب ب وفاة الراحل الكريم؟ ولا  
أزال طول حياتي أتذكر هذا المصاب الجلل كلما واجهتني الخطوب  
والمعضلات، وإنى لأسائل، أين لي بعد اليوم ذلك الصديق الحميم  
الذي كنت أشد عنده دائما النصيحة والمشورة؟،

وكان حزب المؤتمر الوطني لولاية دلهي، قد نظم هذا الاجتماع وترأسه نخامة  
رئيس الجمهورية الهندية الدكتور راجندر برشاد، وتكلم في الاجتماع نخامة رئيس  
الجمهورية، ورئيس الوزراء نهرو، ونائب رئيس الجمهورية الدكتور رادها كرشن،  
بلهجة ثم عن حزنهم العميق، فأشادوا جميعا بذكر المناقب وأكدوا احترامهم  
ومودتهم للفقيد المحترم الذي جمع في شخصيته بين عالم عظيم، و وطني مجاهد،  
وصفوه بأنه كان خير نموذج لأحسن ما تحويه الثقافة الهندية في ماضيها و  
حاضرها، ونوهوا بمواقفه العظيمة، فانه كان مناضلا لا يعرف الاحجام والوجل  
في سبيل حرية بلاده، وسياسيا نافذ البصيرة، وصاحب كفاءة ومقدرة، ينفذ  
بثاق فكره إلى أعماق المشاكل، مها أعضلت وتعقدت. وكان رحمه الله بمثابة  
جسر بين العهد القديم والعهد الجديد، وعقريا يدرك ضمير البلاد وحاجتها،

شخصية لامعة تلاتات وسطعت في سماء الهند خلال حركة الاستقلال الهندي منارا هدى الشعب الهندي إلى الطريق القويم. و علاوة على رئيس الجمهورية ندية، و نائب رئيسها ورئيس الوزراء، حضر الاجتماع المستر ددهير، رئيس حزب المؤتمر الوطني، و دآجريا كريلاني، و دببخشي غلام محمد، رئيس وزراء كشمير دكياني كورمكه سنگم، مسافر، و مولانا حفظ الرحمن والسيدة دأرونا آصف علي، لدكتور دهن-ن-كنزرو، والمستر دأ-ك-كوپالن، والدكتور ذاكر حسين حاكم لاية بهار. وألقوا كلماتهم التي نمت عن أحزانهم العميقة وحبهم الصادق للفقيد.

و دعا رئيس الوزراء المستر نهرو في خطابه الجمهور إلى أن يتبرعوا ما يتيسر لهم قامة مؤسسات تذكارية، تتخلد لنا الفقيد المحترم مولانا أبي الكلام آزاد، لإنشاء نصب تذكارية على ضريحه، وذلك وفقا لقرار اتخذته اللجنة العاملة حزب المؤتمر الوطني بهذا الصدد. وقال رئيس الوزراء :

• نرى وراء هذه التبرعات إلى ثلاثة أهداف كان الفقيد في حياته دائما يطمح إلى تحقيقها.

أولها : إرسال بعثات الطلبة إلى البلاد العربية والفارسية من غربي آسيا، واستيفادهم إلى الهند من هذه البلاد للدراسة، وذلك تعزيزا وتوطيدا للروابط الثقافية بين الهند وبين هذه البلاد.

• وثانيها : تأسيس مقعد أو أكثر في الجامعات الهندية للابحاث العلمية المتعلقة بالنواحي الاجتماعية والثقافية الهندية.

والثالث من هذه الأهداف إنشاء دور الكتب في جميع أنحاء الهند.

قال السيد نهرو :



(c) <http://nidaulhind.blogspot.in>

• إن . صاحب أكاديمي ، (الأكاديمية العلمية) قد قررت أن  
تقتر جميع أعمال الراحل الكريم وتأليفه مع تراجمها بلغات أخرى .  
وأؤكد بأن الحكومة الهندية ستبذل أقصى جهودها في إنشاء مؤسسات  
ونصب تذكارية تناسب منزلة الفقيه وتخلد ذكره .

و وافق المحاضرون الآخرون على إنشاء النصب التذكارية على ضريحه وإقامة  
المؤسسات تخليداً لذكراه . وقال نخامة رئيس الجمهورية ، وهو أول من تكلم في  
الاجتماع :

• إن تاريخ الهند خلال خمسين عاما الماضية مقترن باسم الفقيه  
على وجه لا يمكن فصله عنها . وإن القلم الذي ألهم الوطنية في آلاف  
من نفوس هذه البلاد ، قد وقف اليوم ، وإن الصوت الذي أثار  
ملايين الهنود وأيقظ في نفوسهم الحمية والحماس الوطني ، قد خفت  
اليوم . ولعل أحسن ما يزيجه لزعيمنا الراحل من آيات التقدير  
والتبجيل أن نجعل نصب أعيننا المثل والمبادئ التي نافع عنها طوال  
عمره وسترشدنا وتتخذ منها منبعا للهداية ، وعلى الأخص ولاؤه و  
وفاؤه وجه العميق للبلاد واستنكاره لليول والنزعات الطائفية .

وقال رئيس الوزراء المستر نهرو :

• إن وفاة مولانا أبي الكلام آزاد لنهاية عهد من تاريخ هذه  
البلاد . إذ كانت شخصيته كجسر أوصل بين العهد القديم والعهد  
الجديد وأحسن نموذج لهما .

وقال . البختي غلام محمد ، رئيس وزراء كشمير ، وقد شرق صوته مرارا أثناء  
خطابه واختق لمراة الألم :

• إن زعماء كاشمير استشاروا مولانا آزاد حين واجههم مشكلة انضمام ولاية كاشمير، فأشار عليهم بأن أنسب شيء هو انضمامها إلى الهند، وطلب منهم أن لا يترشوا في الانضمام ويتثبتوا على قرارهم غير واجلين من العواقب أو المشاكل، مما قد تواجههم..

نحى • البخشي غلام محمد، يقول:

• هلا رأى الذين يسبون الحكومة الهندية هؤلاء الآلاف من غير المسلمين الذين اجتمعوا هنا لرثاء الراحل الكريم؟ كأنه كان من بنى عمومهم! ولا شك أن هذا الاجتماع يقلع جذور الدعاية الكاذبة المنشورة عن روابط أهالي الهند بعضهم مع بعض..

ووقفت الجماهير صموتا لدقيقة كاملة إبداء لما تحوى عليه قلوبهم من تقدير و ترام لفقيدهم. وقال الدكتور راجندرا پرشاد، رئيس الجمهورية الهندية:

• إن الجماهير الغفيرة التي احتشدت اليوم في هذا الاجتماع قد كشفت عن أعماق التقدير والتكريم للزعيم الذي فارقنا فراقا أبديا يرم السبب الماضي، وكفانا بهم شاهدا على ما كان للغفور له من حب وثقة في قلوب الهنود، إذ بادر ملايينهم بغض النظر عن دينهم و طبقتهم للرثاء على وفاة الزعيم الجبار الذي اقترن حياته خلال ٤٥ عاما الماضية بحركة استقلال الهند وتعميرها اقترانا غير منفصل..

استطرد رئيس الجمهورية قائلا:

• إن مولانا آزاد أثار الشعب بكتاباته البليغة البديعة وبث فيهم روح الكفاح والجهاد لتحرير وطنهم. وأرشدنا بأعماله الباهرة و تضحياته العظيمة إلى تذليل العقبات وإزاحة العوائق والعراقيل التي

نفرقل سيل الامة. وكان عبقريا ومفكرا اكتنه الفواض وهو لم  
بلغ بعد رشده. واهندى بفكره إلى أن لا مناص للهنود، مسلمين  
ونجريم. من أن يتعاشوا في هذه البلاد مسلمين متصالحين حتى تكون  
حياتهم ملؤها الود والصداقة. وما زال مؤمنا بهذا المبدأ إلى أن جاد  
نفسه الأخيرة. ولم يكثرث لما اغترته في هذا السيل من عقبات  
وعراقيل ومح وشدائد وإنما واصل عمله وجهده ليلا ونهاراً لتدعيم  
الحق..

وأضاف لحامة رئيس الجمهورية قائلاً:

إن العلاقات بينه وبين مولانا آزاد كانت من التوطد والرصانة  
إلى حد لا يمكن وصفها أو تعييرها في هذه الفرصة القصيرة. وإنما أنا  
أكتفى بالقول بأنه ينحتم علينا أن نخذو حذوه ونهتدى بهديه،  
الشخصية المبريدة التي كانت أروع نموذج لتكريس النفس وتقديم  
التضحيات في سيل الاتحاد وحرية البلاد، ونستفيد مما كان يبشر به  
ويدعو إليه. ولعل هذا بعد من أعظم آيات التكريم والتقدير. وهو  
السيل الوحيد للدفاع عن استقلالنا وتعزيز دعائمه..

ومضى الدكتور راجندر پرشاد، يقول:

تعالوا نعهد على أن نسلك مسلماً أرشدنا إليه مولانا آزاد وعلى  
الأخص تعاهد على العمل المتواصل لرفاه الشعب والبلاد. وإني لعل  
يقين بأننا لو أدركنا حياة مولانا آزاد وفهمناها فيها لورعنا عن  
المنازعات الطائفية، أو القومية أو المؤسسة على الديانات..

وقال رئيس الوزراء السيد نهرو:

• توفي مولانا آزاد إلى رحمة الله وإتنا كلنا سندوق الموت حتماً، لكن لا تزال قافلة الأمة تواصل سيرها. ولا شك في أن وفاته أحدث فراغاً لا يمكن سده، وما من نفس يستطيع ملأ هذا الفراغ ولا أقصد أن البلاد لا ترزق رجالات فيما بعد، بيد أنهم لن يماثلوه ولن يتصفوا بما اتصفت به شخصيته من صفات وميزات— وإذ لحق أنه كان في شخصيته مركزاً جامعاً اجتمعت فيه مختلف الأفكار والفلسفات والثقافات والمدنيات، يعتبر حقاً جسر بين العهد القديم والجديد، فذكرنا بما يمتاز به لماضيها المجيد من السؤدد والعظمة، ولم يقتصر تذكيره على كلمات فحسب بل مثلها لنا بأعماله الباهرة وكتاباته البليغة التي تعد ذخراً ثميناً في خزانة اللغة الأردوية..

ثم تطرق المستر نهرو إلى ذكر المؤسسات التذكارية لمولانا أبي الكلام آزاد وقال:

• إن الحكومة ستأخذ خطوات بهذا الصدد في الوقت المناسب إلا أن الأهم أن تعمر قلوبنا بالمؤسسات الحقيقة— وشهدنا أمس بما كان له في كل قلب من حب وثقة حين احتشدت الجماهير بغض النظر عن اختلاف أديانهم وطبقاتهم وعقائدهم، واشتركوا للدبة على هذا الخسران المبين..

وقال المستر نهرو:

• إن الهند قد احتضنت مختلف المدنيات والحضارات والأفكار والثقافات ولم تزل عملية الاندماج سارية منذ آلاف من السنين، ونجحت الهند في هضمها وامتصاصها، فترى لها نماذج رائعة وشواهد ينة في فنون الموسيقى، والأفكار والنظريات والاركيالوجية (علم الآثار)، وكان رحمه الله خير رمز لهذا الاختلاط والاشترار الثقافي. وكانت

شخصية بلاشك همزة الوصل بين مختلف الثقافات والأفكار والنظريات .  
ولم يزل طول حياته يعمل للتوحيد بينها .

وأعرب الدكتور . رادها كرشن . نائب رئيس الجمهورية عن رئاه قائلا :  
« قد أعيانا هول المصائب حتى عجزنا عن إبداء ما تكنه صدورنا  
من تقدير وتكريم للخدمات والفضائح قدمها مولانا آزاد لحركة  
الاستقلال الوطنى و فى سبيل التقدم الذى تلاها . وكان رحمه الله قد  
أصيب بمصائب جمة لكنها أخفقت فى زعزعيته عن آرائه و وجهات  
نظره ونظرياته . . »

وأضاف الدكتور . رادها كرشن ، يقول :

إنه بذكر ما ارتكبه طلاب من بعض الجامعات من إهانة مولانا آزاد  
لكه لم يجد قيد شر عن ما وضع نصب عينه . ومن هنا يعود علينا  
جميعا أن نفهم فى هذه الآونة التى يسودها الاختلاف والانشقاق  
أن أهم شئ . للتقدم الوطنى هو الاستقامة والوفاق الوطنى . وأما ما عداه  
فدونه رتبة وأحط منزلة . وإن من أعظم المبادئ التى تشتمل عليه  
حياة مولانا آزاد هو العدل فى شئون تتصل بالشعب ، والحنان فيما  
يتصل بأصدقائه وأحبابه . ولم تزل حياته حياة استكشاف ونيل ، وقد حي  
حياة ملؤها السؤدد والكرامة ، وكفى ذلك لكل هندی افتخارا ومباهاة .  
وإلى لعل يقين بأن ذكراه تخلد ولن تفارق قلوبنا وتترعرع بين  
حين وآخر . . »

وقال المستر . دهير . رئيس حزب المؤتمر الوطنى :

« إن وفاة مولانا آزاد نائبة أخرى أصيبت بها الأمة الهندية بعد

وفاة د پټيل، ورفيع اُحد القدواني. استمر رحمه الله مشغلا في كفاح التحرير الوطني منذ ١٩١٤ الميلادي وخرج منه مجاهدا ممتازا يدافع عن حياض الاتحاد بين الشعب ووجه أعظم عنايته إلى تماسك الثقافة الهندية المشتركة، وبذل جهوده الثمينة لما وضع نصب عينه من الهدف العظيم ولم تتمكن قط الدعاية الكاذبة التي قام بها السفهاء من التطرق إلى أعماله. وكان حياته درسا للشعب الهندي لأن يعمل جميع الشعوب الهندية بغض النظر عن دينهم لانعاش البلاد ورفاه الشعب..

وقال ج. ب. - ك. ريلاني، زعيم الحزب الاشتراكي الشعبي Praja Socialist Party :

د إن مولانا أبا الكلام آزاد كان جمع في شخصيته بين زعيم مكافح وعالم جبار وأديب بارع. وكان قد توصل إلى أن لا مناص لتحرير بلاد الهند من أن تعيش المسلمون والهنداكة متحابين موادين ولم يدخر وسعا في محاولته لتحقيق هذا المرام..

وقال المستر آچاريا ك. ريلاني :

د إن مما يؤلنا هو أن الزعماء والأسلاف لا يزالون يقضون نحبهم واحدا بعد واحد ولا يخلفهم أحد ذو مقدرة وكفاءة يرشد الشعب وينور الطريق لهم. ومهما كان الأمر فإن الحقيقة أنه لا يمكن سد الفراغ الذي فاجأت به وفاة مولانا أبي الكلام آزاد..

وقال المستر. ك. ريلان، زعيم الحزب الشيوعي :

د إن الفقيد المحترم كان مرموقا إليه بنظرة الاجلال ومعظما في أعين الناس قاطبة ومحيا إلى أقدتهم جميعا، وكافح كفاحا مريرا لحرية البلاد،

وعمل بعدها على تعبئتها ، فلنعمد اليوم أن نقف آثاره ونهتدي  
بهديه ، وعلى الآخر فيما اتصف به من الطابع الانحادي بين  
المسلمين والهنداكة ونبذل جهودنا لانعاش البلاد والتقدم بها .  
وكان الدكتور . هـ . ن . كرزو ، والمستر . گورمكه سنگه مسافر ، ومولانا  
حفظ الرحمن أعضاء البرلمان الهندي ممن تكلموا في الاجتماع .



## ثورة الهند السياسية

وبيان لفقيد الشرق معالى أبى الكلام آزاد عند محاكمته

إن الجهاد العظيم الذى قامت به الهند لنيل الحرية والسيادة، يكاد يكون قذا ، تاريخ العالم . لا لأنه كان جهاد بلاد استعبدت استعبادا قاسيا، وحكمت بالنار الحديد أجيالا، فصبت على رأسها المصائب تلو المصائب، ودهمتها الدواهي إثر دواهي، بل لأنه كان فريدا فى نوعه . فأصوله جديدة، وطرقه عجبية، ومظاهراته مليحة، وروحه العاملة فيه خالية من كل حقد، لم يكن فيه إلا الايثار وكظم غيظ وتحمل الشدائد والتضحية بالمهج . وكان القائمون به يُضربون ولا يضربون، صابون ولا يصيبون، يقتلون ولا يقتلون، يقاومون القوة لا بالشدة والبطش، بل بالصبر والحلم والسلم، ويحاربون الاستبداد لا بالحديد والنار، بل بالايمان اليقين والثقة بالله . فكان جهادا سليبا حقا، وحربا روحية بريئة من العنف القهري، ولا ريب فى أنه كان صحيفة عبر وكتاب بصائر لسائر الأمم المستضعفة، بين لها أن الفوز والنصر لا يتوقفان على بسطة الجسم والقوة المادية، بل المنبع الحقيقي هو القوة المعنوية وزكاة القلوب التى فى الصدور . فهو أول مثال للقبالة سليمة للقوات المسلحة القتالة، وهب الشرق كله سلاحا ماضيا صائبا من لايمان والصدق، يدافع به العدو الغاشم المعتمد على النيران والأسلحة الذرية .

ولا أبالغ فى وصف هذا الجهاد، ولا أهمم به فى أودية الخيال، أو أتخيل كشعراء فى المحال، وإنما أتكلم عن حقيقة وبرهان وأكشف عن كنه الحال، فانه مهد زهرع أساس الدولة البريطانية فى البلاد، وتركها فى حيرة وارتباك، فظلت



لمولة الأيدي مع ما تملك من قوة وسلاح، ولم تستطع قهره ومقارعته بكل  
أوتيت من البطش والجلاد، فإن السلاح يقرع السلاح، والقوة تصادم  
قوة، والمصارع بصرع المصارع، ولكن هل سمعت سيفاً يقتل روحاً، أو صرعة  
برع قلباً. عجز الاستبداد أن يقهر هذا الجهاد السلمي، لأنه لم تكن أمامها  
مادة فكريها ولا يد فتاة مجذما، وإنما كل ما هنالك عنق للقتل وقلب  
مباة، وحسم للصلب وروح للبقاء، فما أعجب هذا الجهاد! وما أسلم هذا العراك.

وكانت من أهم ما امتاز بها هذا الجهاد حركة اللاتعاون السلمي، نقدم  
كم يانا وحيزاً عنها ثم نتحكم بالخطاب الحليل الذي خاطب به المحكمة الانجليزية  
بسد الشرق معالي مولانا أبي الكلام آزاد عندما حوكم فيها، ففيه من البصائر  
لعمري ما لا يزال يرن صداها في العالم.

قامت حركة الجهاد في الهند بعد هدنة الحرب الكبرى مباشرة، وظلت  
نا محصورة في قيام المظاهرات، وحشد المحافل، واجتماع المؤتمرات، وإرسال  
فود إلى إنجلترا وغيرها من الطرق السياسية المعهودة، ولما لم تنجح شيئاً ملموساً  
ماورت جمعية الخلافة، وجمعية الوطنية، في وضع خطة موفقة، وأعلنت في  
سبتمبر سنة ١٩٢٠ بالاتعاون السلمي، وكان الغرض أن تقطع جميع العلاقات  
تساعد الحكومة البريطانية على أهدافها وبقائها في البلاد. وذلك أن الهند لم  
ن في وسعها أن تعتمد على الأسلحة في كفاحها، ولأنها أرادت أن تقدم  
نفسها مثلاً عملياً لمقاومة القوة بالطريق السلية، وتقوم في وجه القوى المادية  
لم والتضحية والثبات على الحق إلى أن تمل القوة من الظلم والعسف، ولا  
ب أصحاب الحق من الصبر والتضحية. وكانت اللائحة الأساسية كما يلي:

ترد إلى الحكومة جميع مناصبها وألقاب شرفها وأوسمتها.

مقاطعة جميع مدارس الحكومة وكتباتها، وتأسيس المدارس الوطنية للأطفال.

واشتغال الشبان بفشر الحركة وترويجها.

- ١- تقاطع جميع المحاكم القضائية، فلا يذهب إليها المحامون ولا أصحاب الدعاوى بل تؤسس المحاكم الوطنية لتفصل فيها الدعاوى على الطرق البسيطة.
- ٢- تقاطع إصلاحات الحكومة التي تمن بها على البلاد، فلا يرشح أحد نفسه للجالس النيابية، ولا ينتخب لها أحد.
- ٣- تقاطع البضائع الانكليزية، ولا سيما القماش منها، وعلى الهنود أن يغزلوا القطن بأيديهم فينسج منه القماش، ويلبسه الشعب.
- ٤- مقاطعة الخدمة العسكرية، حتى لا تستعمل الحكومة البريطانية الهنود في استعباد الأمم الحرة.
- ٥- لا تدفع الضرائب إلى الحكومة، مهما تكن العواقب.

ولا يخفى ما في هذه الحركة من خطورة، إذ لم تكن إلا دعوة إلى الايثار وهضم النفس، وتحمل الخسائر والتعرض للنواب، فلم يلها أحد إلا وقد نفّض يديه من وسائل العيش وألقى نفسه وأهله في عرضة الضنك والفاقة والفقر، وأعرض عن كل ما عند الحكومة من الرتب والمناصب والجاه، وعرض نفسه على الحبس والتعذيب وعلى القتل والصلب أحيانا، لكن البلاد رحبت بها وقبلتها بقبول حسن، وتدفقت جماعات تلبى الدعوة وتعلن باللاتماون وتتفانى في سبيل العمل بها، والحكومة تراها بعينها ولا تعرف كيف تصد تيارها.

### مقاطعة ولي العهد

وعندما رأت الحكومة أن الحركة لا تزال تتقوى وتنتشر وأنها عجزت عن قهرها، لجأت إلى حيلة أخرى، فرتب الحاكم العام «اللورد ريدنج» الداهية الشهيرة برنامجا لجولة ولي عهد إنجلترا في البلاد الهندية، ظنا منه أن الهند لا تأتي لاستقبال

الضيف والترحيب به، وذلك أن العائلة الملكية تعتبر عندهم فوق المنازعات السياسية. ولكن سرعان ما غاب أملهم. فإن الشعب الهندي بمجرد أن سمع بهذه الجولة قرر مقاطعةها، وأعلنت جمعية الخلافة، وجمعية العلماء، وجمعية الوطنية، مقاطعة الترحيب الملكي.

وقامت إثر هذا الاعلان مصادمة شديدة في طول البلاد، فكانت الحكومة بعدد جميع وسائلها الكثيرة ومواردها الوفيرة لاجحاح السياحة الملكية. وفي جهة أخرى كان زعماء البلاد الذين لا حول لهم ولا قوة إلا قوة روحهم وحماسهم يصرون على مقاطعةها، وكانت النتيجة مدهشة جدا، إذ سجل التاريخ أن أقوى دول العالم بكل ما أوتيت من سلطة ونفوذ خضعت أمام الرأي العام لبلاد ضعيفة البنيان نوبة الروح. ولقد شاهد بكل الامبراطور بعيني رأسه منظرا مدهشا لم يشاهد مثله. فلم يدخل مدينة إلا وجد الأسواق فيها مقفولة والأبواب مؤصدة. الشوارع مهجورة، وقد شاهد نفس ما شاهد عم أبيه «الدوق آوف كنوت» منذ سنة، ووصفت إحدى الجرائد الباريسية هذه الحالة «أن الهند اليوم مثل ما كانت باريس عند دخول الجيوش الألمانية في حرب السبعين».

وغاضت الحالة الحكومة فاعتمدت على قمع الحركة بالقوة والشدة، ونسيت أنها لا تقمها وإنما تزيدها نشاطا.

وظلمت الجمعيات الوطنية جماعات المتطوعين ليقوموا بخدمات في هذا الجهاد على وأعلنت الحكومة أن جماعتهم هذه غير قانونية ويجب إلغائها، وحظرت لاجتماعات وحرمت الشعب من حرية اللسان والقلم، وبدأت الحكومة بتنفيذ هذه القوانين في كلكتا أولا، لأن قدوم البرنس إليها كان قريبا، وهي أعظم مدن الهندية وتكاد تكون أوربية لكثرة الأوربيين فيها، فكانت مقاطعة البرنس بأثره جدا، فبادرت بإعلان هذه القوانين فيها.

## موقف أبي الكلام

وقام مولانا أبو الكلام في هذا الوقت ونشر أنه يجب على الأمة بذ هذه القوانين والمبادرة إلى السجون، وقرر معاليه الأمور الآتية.

١- إن الخضوع لمثل هذه القوانين الجائرة معناه التنازل عن الحقوق المدنية والانسانية، ولا يجوز للحكومة أن تحظر المجامع السلمية، والأعمال الوطنية البريئة، فلو خضعنا لها خوفا من السجن والعقاب، لنكونن مجرمين أمام ضمائرنا وأمام الانسانية على سواء، فليس على محي الحرية والحق إلا أن يعصوها مواطنين أنفسهم على احتمال جميع المصائب التي تصبها الحكومة على رؤوسهم ولا يخضعوا لها في حال من الأحوال.

٢- توسيع نطاق التطوع، فينبث المتطوعون في كل شارع وزقاق معلنين للقاطعا الملكية التي تريدنا الحكومة على بجانبها، ولا يطيعون السلطات بل يقدمون أنفسهم للاعتقال بدون كره ولا مقاومة.

٣- تعقد المجالس والمحافل في المجتمعات العامة، ويسلم الحضور أنفسهم إلى الشرطة إذا أرادوا القبض عليهم.

٤- وإذا أُلقي القبض على أحد فلا يدافع عن نفسه في المحاكم التي تنوب عن الحكومة الجائرة وإنما يقاطعها مقاطعة تامة.

٥- يتوقف هزيمة الحكومة على العدد الذي يدخل منا السجن، فلنهرول إلى السجون زرافات زرافات، حتى تتعب الحكومة من اعتقالنا ولا تتم نحن من الاقبال عليه.

ولبت الأمة الدعوة، وابتدأت الأعمال الجديدة بكل قوة، وسارع الناس إلى إدارات التطوع أفواجا، وعقدت الاجتماعات العامة، وأخذ الخطباء بخطبهم وشدحون في الحكومة ومعاملتها. حتى دهشت الحكومة فلا تدري ما تعمل

إذ أنها لم تعد قادرة على اعتقال جميع المتطوعين ولا على خفض النظر عنهم : لكنها لم تر بدا من الاعتقال والتسجيل، طائفة أن الناس سيخافون من صولتها ويثربون إلى طاعتها، فأخذت تمتل في كلكتا وحدها آلافا من المتطوعين كل يوم، وكان المنظر مؤثرا للغاية، فان عصابات المتطوعين كانت تترى، كلما اعتقلت واحدة حلت محلها أخرى، وهكذا إلى الليل .

ثم وسمت الحكومة دائرة إرهابها، وأعلنت القوانين القاسية في طول البلاد وعرضها، لكن الامة لم تترجح عما أرادت وأخذ الوطنيون يظهرون في كل محل ويعصون القوانين، وأخذت السلطة تقبض عليهم وتسجنهم . وإن القلم ليجز عن وصف تلك الحبة والغيرة والحاسة التي كانت تشاهد في كل زقاق و شارع وبلد من القطر الهندى العظيم، فكان الناس يتنافسون في المبادرة إلى الاعتقال، حتى الصبيان كانوا يكون شوقا إليه ويأخون على الشرطة أن تعقلهم، فكم منهم دخلوا السجون بالحاح شديد وودعتهم أمهاتهم بدموع الفرح، ولم يكن المتطوعون وحدهم يقدمون أنفسهم للاعتقال بل كان الآلاف من المارة والسوق إذا رأهم على هذه الحالة يتحمسون فيزاحون ويقولون للشرطة اقضوا علينا، نحن معهم !

ولم يمض على هذه الحالة أسبوع إلا بدت علامات القصور على وجه الحكومة، لأن السجون على كثرتها وسعتها كانت قد امتلأت، وكذلك جميع الأبنية التي استخدمت لهذا الغرض، وعجزت الحكومة عن الاحتفاظ بالنظام والضبط في السجون وإعداد الطعام والشراب للمعتقلين، فاضطرت إلى أن تخلى سبيل ألوف منهم . فكان السجن يفتح أبوابه وينادى المنادى فيهم : ألا من كان منكم يريد الذهاب فليذهب . ولكنهم يرفضون الخروج من السجون، فيحملهم البوليس على أسكتافهم ويقودهم وراء الباب، فيتوجهون إلى الأماكن العامة ويعصون

وامر حتى يرجعوا إلى السجن مرة أخرى ! فلما ثقل على الحكومة ذلك  
مت من إدخالهم السجن، فكانت تعتقلهم نهارا وتطلقهم ليلا غير أن  
لقين كانوا يعودون إلى العصيان.

وضجرت الحكومة من هذه الحالة ضجرا شديدا وأيقنت أن النار لا تتمد  
أن تمد يدها إلى الزعماء فتسلبهم حريتهم، وهم بدورهم كانوا مستعدين لاجابة  
يتها من أول يوم، معتقدين أنه لا بد لتقوية الحركة وتكميل العمل من أن  
طوا السجن أنفسهم. فالتى القبض على صاحب الخطاب في ١٠ ديسمبر سنة  
١٩، وذهب إلى السجن بوجه ضاحك وثغر باسم.

وكان رحمه الله أعلن قبل اعتقاله بساعات بأنه سيلقى القبض عليه لا محالة،  
هذه الساعة تكون ساعة اختبار عزم الأمة وثباتها. وصدقت الأمة وأبليت  
حسنا، فازدادت نشاطا وعزما، وبلغ عدد المسجونين خمسين ألفا في  
كتا وحدها، ووجدت الحكومة نفسها قبل نهاية أسبوعين عاجزة عن قمع  
الحركة، فاضطرت إلى أن تتجنح للسلم، فأعلنت بأنها تريد الهدنة، وترغب  
إطلاق سراح جميع المسجونين، فيمسك الزعماء عن أعمالهم، بدون أن يعترف  
د من الفريقين بالغلبة والانكسار.

### ❦ فضل الفقيد على البلاد ❦

والفقيد صاحب الخطاب أهمية عظيمة في النهضة الهندية فانه من مؤسسيها. ولم  
ن في مسلمي الهند إلى سنة ١٩١٢ أية حركة عامة نافذة قوية للإصلاح الديني  
السياسي، فكانوا في الدين على جمود وتقليد كما لم يكن لهم في السياسة شأن.  
يا كانوا يخافون منها كأنها حية تنهم، معتقدين أن الاستقلال يضر بهم،  
يا هم في هذه الظلمات إذ قام فيهم صاحب الخطاب فصاح بأعلى صوته:

« اتبعوني أهدكم سبل الرشاد، ودعاهم إلى التوحيد الخالص، واتمسك بالكتاب والسنة ونفذ التقليد والبدع والخرافات، وتطهير الأعمال والعقائد من المحدثات، وفسر القرآن بأسلوب بديع ونزهه عن كل الترهات، واستنبط منه ومن سنة الرسول كل ما يحتاجه المسلمون في دينهم ودنياهم.

ودعاهم كذلك إلى الحرية التامة واستقلال البلاد والاتحاد مع أبناء الوطن مهما كان دينهم، وإلى مقاومة الأجانب المسيطرين بغير حق. فقامت عليه القيامة من كل جهة، وصوب المعارضون إليه نبالهم، وبسطت الحكومة له شركها، ولكن لم توقفه العراقيل في طريقه، ولا صدته الموانع عن عمله، فما زال يلقي الخطب الرنانة، ويحجر المقالات الخاسية، ويقرع أسماعهم بيلاغته الفذة، ويوقظ قلوبهم بمواعظه البالغة، وينفخ في أجسادهم الميتة روح الدين والحرية، حتى انتبهوا من رقدتهم وهبوا من نومتهم، وهرعوا إلى الداعي ملين دعوته، وكل هذا في خلال بضع سنوات، المدة التي لا تكاد أن تصدق. وكانت لسان دعوته مجلة «الهلal» الأسبوعية خالدة الذكر.

ويمكن تلخيص دعوة الهلال الاجتماعية والسياسية في ما يلي:

١- إن العبودية سواء كانت للأجانب أو الفاصيين من الأمة نفسها لا تجتمع مع الاسلام، وأن السعى للحرية، والاستقلال وتحمل الشدائد والمصائب والاعباط بالموت في سبيله، كل ذلك واجب على المسلمين، وهو تراثهم الملى ورثوها عن أجدادهم. فاما أن يعيشوا أحرارا أو يموتوا كراما، وليس بين هذا وذاك من سبل في الاسلام، لأن شريعته مادامت لا تتيح استبداد الولاة من المسلمين أنفسهم، فكيف تتيح لهم أن يعيشوا خاضعين لظلم الأجانب واستبدادهم؟ والمسلم الذي يتنع ويرضى بهذه العيشة لاريب في حرمانه من روح الحياة الاسلامية.

١- على المسلم الهندى واجبان: واجب إسلامى و واجب وطنى، فالواجب الاسلامى يطالبهم بأن لا يحدوا نظرهم فى حدود أرضهم، فان جنسية الاسلام لا تتقيد بالوطن أو النسل. فعليهم أن يقوموا بمساعدة ممكنة لآخوانهم المسلمين فى العالم كله. وأما الواجب الوطنى فيطالبهم بالاتحاد مع أبناء وطنهم وبذل نفوسهم وأموالهم فى سبيل الحرية والاستقلال.

٢- لا تهدد الدول الغربية الاسلام أو المسلمين فقط، بل تهدد الشرق بأسره، فيجب على الشرق أن يتماسك ويتعااضد لصون حريتها وحياتها.

٣- اللغة العربية هى اللغة الملية للمسلمين كافة، وإنه من العوامل الأساسية للانحطاط الدينى هجران اللغة العربية وشيوع العجمية والفلسفة اليونانية. فيجب عليهم إحياء اللغة العربية.

وعندما ابتدأت الحرب الكبرى أصبحت الهند فى حالة تشبه الأحكام العرفية، وأخذت الحكومة تسجن وتعتقل كل من ارتابت فيه غير أن صاحبنا أوم على دعوته، يقول ما كان يقول، لم يخف من الحرب أو السلطة العسكرية. ولما رأتها الحكومة متصليا فى أفكاره ومصرأ على أعماله وعجزت عن استمالته ليا بالترغيبات أو تخويفه بالتهديدات، صادرت أولا جريدته ثم نفتته من مقاطعة كلكتا واعتقلته ولم تخل سبيله إلا بعد الهدنة فى يناير سنة ١٩٢٠.

ولم يكف يطلق سراجه حتى انهمك فى إنهاض الحركة الوطنية الجديدة، وواصل مله ليلا ونهارا إلى أن زجته الحكومة فى السجن بعد عامين.

ولا شك أن خطاب الزعيم الراحل عند محاكمته يسجل فى تاريخ الحرية الجهاد للأمة. إذ هو آية عظيمة من آيات الصدع بالحق وتشنيع الباطل وتقييح لاستبداد ومثل عال للجرأة والشجاعة والثبات على الحق كالجبال الراسيات. ها هو خطابه فيما ط:



## الخطاب

الذي خاطب به المحكمة الانكليزية العالم العلامة الاستاذ أبو الكلام

إني قد كنت عازما على أن لا أقدم إلى المحكمة يانا ما ، لأنها مكان لا رجاء  
لا فيه ، ولا طلب منه ، ولا شكوى إليه ، وإنما هي كمنعرج الطريق إلى المنزل لا  
بد من قطعه للسائل ، ولذا وقف فيه وقفة على كره ما ، وإلا لدخلا السجن نوا .  
إن الجمعية الوطنية وجمعية الخلافة وجمعية العلماء قد أبحن تقديم بيان إلى المحاكم ،  
لا للدفاع بل لإعلام الأمة بالحقيقة ، بيد أن ما برحت أشير على الناس بأن يؤثروا  
الصمت على الكلام ، وأن يقاطعوا المحاكم مقاطعة تامة . وذلك لأنني أرى أن كل  
من يقدم يانا لدحض التهمة وكشف الحق - وإن كان قصده به إعلام الجمهور -  
لا يسلم من الفطة ، إذ يجوز أن يكون في نفسه أدنى هوى للتخلص من العقاب ،  
أو في أحاق قلبه أقل رجاء في عدل المحاكم . مع أن سبيل « تارك التعاون » مستقيم  
نير ، لا ينبغي أن توسخه الظنون والشبهات .

## الأس التام من العدل

إن « التعاون » نتيجة للأس التام من الحالة الحاضرة ، وهذه الأس هو الذي  
ألجأ الأمة إلى أن تغيرها ، وتبدل غيرها بها ، فكأن من يقاطع الحكومة ويأبى  
معاونتها . يعلن بأنه يس من عدلها وحبها للحق ، وأنه لا يعترف بها بل يعدها  
حكومة غاصبة جائرة وغير شرعية ، لهذا يود إسقاطها ونحطيمها . أفبعد هذا يرجع  
القهرى فينظر منها أن تصفه كحكومة عادلة صالحة للبقاء والدوام ؟

وإن غصتنا الطرف عن هذه الحقيقة الثابتة ، فإن السعى للتبرة من التهمة ليس

لا فعلا عبثاً وإنكاراً للحقائق. إذ كل بصير يعلم أنه لا رجاء في المحاكم أن تصف تعدل في الحالة الحاضرة، لا لأن رجالها لا يحبون العدل، بل لأنها سائرة على نظام 'يستطيع معه حاكم أن ينصف أولئك الذين لا تريد الحكومة نفسها أن تصفهم'. وإنى هنا أصرح بأن خطاب 'اللاتعاون' ليس مع الأفراد والآحاد، بل مع الحكومة ونظامها ومبادئها.

### ❦ موقف أصحاب الحق أمام المحاكم والقضاة ! ❦

إن هذه الحالة مثل سائر حالات عصرنا ليست بفذة، فالتاريخ شاهد على أنه كلما طفت القوات الحاكمة ورفضت السلاح في وجه الحرية والحق، كانت المحاكم آلات مسخرة بأيديها تفكك بها كيف تشاء، وليس هذا بعجيب، فإن المحاكم تملك نوة قضائية، وتلك القوة يمكن استعمالها في العدل والظلم على سواء، فهي في يد الحكومة العادلة أعظم وسيلة لإقامة العدل والحق. ويبد الحكومات الجائرة أفعع آلة للانتقام والجور ومقاومة الحق والاصلاح.

والتاريخ يدلنا على أن قاعات المحاكم كانت مسارح للفضاعة والظلم بعد مبادئ القتال، فكما أهرقت الدماء البريئة في ساحات الحروب، حوكت النفوس الزكية في إيوانات المحاكم، فشنت وصلبت وقتلت وألقت في غياهب السجون. وليس هنالك عصبة صالحة محبة للحق من الأنبياء والحكماء والعلماء والصالحين، إلا وزراها واقعة كالجنة والمجرمين في قاعات المحاكم أمام القضاة. نعم إن كر الأيام ومر العشى قد عا كثيراً من مساوى العهد القديم. فلا يوجد الآن شيء من المحاكم الرومية لقرن الثانى المسيحى. ولا جمعيات التفتيش السرية (Inquisition) التى كانت فى القرون المتوسطة. ولكنى لا أستطيع الاعتراف بأن عصرنا هذا قد نجح من تلك العوامل النفسية التى كانت تعمل فى تلك المحاكم — حقا إن تلك الابنية التى كانت مكان

للاسرار الرحمة قد دكت دكا. ولكن من ذا الذي يقدر أن يقلب تلك القلوب  
التي تكن فيها الاسرار المخفية لحب الذات والعظم؟

### ❖ مقام عجيب ولكنه عظيم ❖

إن جدول مظالم المحاكم وفضائنها طويل عريض - تلك المظالم التي لم يفرغ التاريخ  
إلى الآن من البكاء منها - يرى فيه اسم المسيح (ع) الانسان الكامل الذي أوقف  
مع الصوص في محكمة أجنبية. وسفراط الحكيم الذي اضطر إلى شرب كأس  
السم، لأنه كان أصدق رجل في بلاده. وكذا فلورنس غيللو، الذي لم يكذب  
شاهداته العلنية لأنها كانت حجة في عين القضاة والمحاكم - وصفت المسيح بالانسان  
الكامل لأن أعفد أنه انسان. ولكن الملايين من الناس يعتقدون أنه فوق هذا -  
إذن ما أجب قفص الجساء وما أعظم شأنه! إنه موقف للصنفين معاً: الأبرار  
والأشرار حتى أنه كان لا تقا هذا الوجود العظيم!

### ❖ حمداً وشكراً ❖

وإني إذ أمدبر التاريخ العظيم لهذا الموقف، وأراني قد شرفت بالوقوف فيه،  
بمسح روحي بحمداً لله وبلهج لسانى شكره من غير قصد مني، وهو وحده يعلم ما  
أجده من الجذل والابتهاج. إذ أحسني في هذا القفص محسوداً للوك والسلاطين  
العظام، فأين لم في قصورهم المريحة تلك المرة والراحة التي يرقص لها قلبي في  
صدرى؟ وبألبت الانسان العاقل والعاكف على هواه، يشعر بنفحة منها! وإني أقول  
حنا أنه لو أدركنا الناس نفقوا المثل في هذا المكان، ولذروا الذور لأجله!

### ❖ لم أخاطب المحكمة؟ ❖

إني كنت عازماً على السكوت في المحكمة، ولما أحضرت فيها ورأيت الحكومة

تقدم في إثبات جريمتي الخطبتين اللتين ألقيتا في بعض مجامع «كلكتا»، وهما لا يحتويان على جميع الأمور التي مازلت أكررها في جميع خطبي ورسائلي ومقالاتي التي تعدو الحصر، والتي إن قدمت كانت أنفع لمقصدتها — علقت أنها عاجزة حتى عن تهيئة ذلك المستند الذي يعتبر في هذه الأيام كافياً لانزال العقاب، مع شدة رغبتها وحرصها على سجنى. فغيرت قصدى وقلت إن العلة التي كانت مانعة من الكلام أصبحت موجبة له. فأردت أن أثبت بلسان الأمر الذي لا تستطيع الحكومة إثباته مع عليها به وشدة رغبتها في إثباته. وإني أعلم أن قوانين المحاكم لا توجهه على، ولا تضطرنى إلى الاعتراف به من تلقاء نفسى. ولكن قانون الحقيقة فوق هذه القوانين الوضعية. وهو الذى يسوقنى إلى ما سأقوله. إذ ليس من الحق أن نذر شيئاً مستورا، لأن الخصم لا يستطيع إثباته.

### ✽ الاعتراف بالجناية ✽

إن الاستبداد الذى ابتليت به الهند نوع من ذلك الاستبداد الذى يصيب الأمم في طور ضعفها ووهنها. وهو من طبعه يبغيض الحركة الوطنية والحرية والمطالبة بالحقوق بغضاً شديداً. لأنه يعلم أنها إذا نجحت سقطت قوته الظالمة واهى وجوده الفاحش. وما من وجود يجب سقوط نفسه وزواله مهما يكن زواله ضرورياً في عين الحق والانصاف. فالتدافع بين الحرية والاستبداد «تنازع للبقاء» و«تراحم في الحياة». كل من الفريقين يجد ويكد للفوز والبقاء: الأمة تريد أن تنال حقها المنصوب، والاستبداد يأبى عليها ولا يريد التزحزح عن مقامه، ولا تثريب عليه، لأنه — وإن كان وجوده خلافاً للحق — يدافع عن نفسه وحياته، وليس لنا أن نترك مقتنيات الطبيعة، فكما يسعى الخير لبقائه، يسعى الشر أيضاً، ومهما يكن ملوماً في نفسه لا يلام على رغبته في الحياة.

وقد بدأ التراحم في الهند بين هاتين القوتين: الحرية والاستبداد — فليس يدع أن

تكون الحرية والمطالبة بالحرق جناة في عين الاستبداد، وأن يكون محاربو وجوده الباطل جناة وآثمة وأعمال القصاب الشديد - فا دام الامر كذلك فاني أعلن على مسع من المحكمة والحكومة بأنني أنا قد ارتكبت هذه الجناية ارتكابا واقترعها اقترافا. وأن كانت الحكومة لا تعلم - وهي تعلم - فتعلم الآن أني من أولئك الجناة الذين بذروا بذور هذه الجناية في قلوب أمهم. ووقفوا حياتهم على سقيها وتسميتها وتسميتها. بل إن ولا لحر - أول مسلم في الهند دعا أمته من اثني عشرة سنة إلى هذه الجناية دعوة عامة، وحول وجهها في خلال ثلاث سنوات عن العبودية التي كانت الحكومة زينها لها إلى الحرية التي قد أشرقت شمسها الآن ولن تتكسف أبدا. فان كنت أنما في زعمها متعاقبين بما نشاء. ما أما ذا معترف بالجناية بصدر رحب ولسان طلق. فمجرد جرع منها ولا نادم عليها. لأن هذا ما كنت أتوقعه وأعرفه من قبل! وإن لا أنتظر من الحكومة إلا الغلظة والقسوة لأنني وإن ألقيتها تدعى العصمة من الخطأ والزلل ولا تعترف بذنوبها، أعلم أنها ما ادعت أبدا أنها مثل المسيح عليه السلام في لبه وحنانه. فاذن كيف أنتظر منها أن تقبل أعدامها وتجهيم كأصدقائها؟ وأعلم أنها لا تعاملهم إلا بثلث المعاملة التي تراها منها الآن. والتي مازال الاستبداد يختارها لهن الحرية والحق وحقن أصحابه وحنانه. فالشدة والغلظة من الحكومة شيء طبيعي لا ينبغي لنا أن نشكر أو نحب منه. بل على كل من الحزبين أن يعمل على مكائنها حتى يفصل الله بينها وهو خير الفاصلين.

[ثم قال بعد هذا إنه لم يفيض عليه لأجل الخطبين اللتين قدمنا في المحكمة بل لينظر للحكومة جر كلكتا، كبلا بقاطع احتفال ولي عهد إنكلترة عند قدومه إليها، ونصف الحركة الوطنية والاسلامية. ثم ذكر أشد ما في الخطبين وهو ما يلي:]

أشد ما في الخطبين

إن الحكومة التي تأست على الظلم لظالمة وهي إما أن تتوب من ذنوبها وتطأها

وتخضع للحق وإما أن تزول من الوجود!

أيها الناس! إن كنتم تألمون لآخوانكم الذين قبض عليهم، فعلى كل منكم أن يبت في نفسه الآن: هل هو راض بأن تظل هذه الحكومة قائمة في بلادنا كما كانت عند القبض على إخواننا؟

إذا كنتم تريدون تحرير بلادكم من رق العبودية فطريقته واحدة، وهي أن لا تدعوا فرصة لأعدائكم المكارين لاستعمال أسلحتهم القتالة التي عندهم بغير حساب...

إن بعض الناس يظن أن الخطيب إذا فاه بمثل هذه الأقوال يحنط لنفسه، وإلا فانه بالحقيقة لا يقصد بها شيئا، ولكنى أيها الآخوان أعتقد أنه ليس فيكم أحد يحسب أولئك الذين يتعبون لأجلكم خوافرين من السجن أو الاعتقال، أو مخلصين لهذه الحكومة الظالمة في نفسها وقوتها بقلوبهم إن أعمالنا يجب أن تكون بالآمن والنظام—لا، لا، إن هذا لا يتصور أبداً، بل الحق الذي لا مرأى فيه أنهم يقولون ذلك لأنهم يرون نجاحكم متوقفاً على الأمن والنظام، إذ أنتم لا تملكون تلك الآلات الجهنمية التي تتسلح بها هذه الحكومة، وإنما الأسلحة التيos لديكم هي الإيمان والضمير وقوة التضحية—فاستعملوها في وجهها تنجحون. وإلا فلا نجاح لكم بالأسلحة المادية.

أيها الناس! إن كنتم تريدون أن تعرفلوا الحكومة برهة من الزمان فطرقه كثيرة، ولو كنت—لا سمح الله—من المحبين للحكومة لبحث بها ودعوتكم إليها، ولكن الذي أريده منكم هو (الحرب الحرب)، الحرب التي لا تنتهى في يوم واحد بل تمتد إلى يوم الفصل، وما أدراك ما يوم الفصل؟ اليوم الذي إما أن تمحى فيه هذه الحكومة الجائرة وإما أن تبقى ثلاثمائة مليون من النفوس البشرية!

### الاعتراف فوق الاعتراف

إن كانت هذه التصريحات «جارية» فإني معترف بأن قلبي قد اشتغل بها ولساني نطق بها، وإني أنا الذي صرحت بها أمام عشرات الألوف من الناس، ليس في هاتين الخطبتين فقط بل في خطب أكثر من أن تعد ونحصى، بل ما برحت أقول أكبر وأشدّ منها، ذلك بأن أعقد أن الصدع بها واجب على، ولن يمنعني من أداء الواجب كرهه معاقبا عليه قانون ١٧٤ من القوانين الهندية بل إني لأجدني الآن مدفوعا إلى التصريح بها أمام المحكمة، ولا أنزل قائلا بها مادام لساني بين أسناني، وروحى في جسامي. وإن لم أعمل ذلك أكن ظالما لنفسي وعاصيا عند الله وعند الناس أجمعين!

### الحكومة الحاضرة «ظالمة»

نعم إن قلت: «إن الحكومة الحاضرة ظالمة» وإن لم أقل هذا فإذا أقول «بازي» وأبسم الله إني لأعجب كيف يطلب مني أن أسمي شيئا بغير اسمه وأن أدعو الأسود بالأيض؟

إن ما قلت هو أهون مما يجب أن يقال في هذا الباب، إذ لا أعلم حقيقة ملفوظة أخف منه.

لا ريب أني ما زلت أقول إنه ليس إلا أن تتوب الحكومة من آثامها وتغير خطتها وترجع عن طلبها، فإن لم تستطع فعداً لها وسحقاً! وليت شعري ماذا يقال غير هذا؟ التتر إما أن يصلح وإما أن يرول، وهل بينها طريق آخر؟ إن هذه الحقيقة قديمة العهد طويبة العمر لا يضامها في الكبر إلا الجبال والبحار. وإني ما دمت أعتقد أن هذه الحكومة من أولها إلى آخرها شر على شر فكيف أستطيع أن

١ - إن المادة ١٧٤ هذه مثل المادة ١٥١ من القوانين المصرية الخاصة بالذين يحرصون على كرامة الحكومة بأن واسطة من وسائل القنن أو لصر أو الكلام أو الخطابة الخ (المترجم)

أدعو لها وأقول: دوى ولا تصلحى.

لماذا أعتقد هذا؟

لما أعتقد أنا وملايين من أبناء وطني وإخوان ديني؟ الجواب أصبح الآن واضحاً جلياً حتى يصح أن يعبر عنه بقول الشاعر الانجليزي «ملتون»: إنه بعد الشمس أوضح شيء وأجلى محسوس، على أني أصرح هنا بأن أعتقد ذلك لأنني هندي ولأنني مسلم ولأنني إنسان.

الحكم الشخصى ظلم بالذات

إنى أعتقد أن الحرية حق طبيعى لكل إنسان ولكل أمة، فطرة الله التى فطر الناس عليها. وليس لشخص أو حكومة أن تستعبد عباد الله وتتخذهم خولا. وسم الاستعباد والرق بأى اسم شئت، غير أنه على كل حال استعباد ورق، وشيئة الله وناموسه بمقتنه وينفيه، وإنى لأجله لا أعترف بالحكومة الهندية بل أعدها حكومة غير شرعية، لأنها مستبدة طاغية، استعبدت البلاد وقهرت العباد، داست الشرائع وخانت المواثيق، ليسخطها الشعب ويمجها الحق، فهى معدومة فى نظر الأمة وإن كانت موجودة بقوة السلاح. وأرى واجبات الديانة والوطنية والانسانية تطالبنى بأن أحرر بنى جلدتى من رقها وعبوديتها الشائنة.

ولا يقاطع كلامى «بالاصلاحات الادارية، و«الترقى التدريجى، كلمات خطتها الحكومة وزخرقتها لتخادع به البله والحق. أما أنا فلا أخدع بها، إذ الحرية فى اعتقادى حق طبيعى للانسان، وليس لاحد أن يحدد ويقسم فى تأدية الحقوق، وإن مثل الذى يقول «إن أمة تنال حريتها تدريجاً، كمثل الذى يقول للدائن «يرد إليك الدين قسطاً قسطاً، نعم إن لم يستطع أخذه دفعة واحدة يضطر إلى قوله بالاقساط، ولكن لا يسقط به حق الاخذ مرة واحدة.



٩٩  
الاصلاحات، وما جى ، الاصلاحات ، ولا كما قال الفيلسوف  
الروسى ، تولسوى : ان ابيع للسجونيين انتخاب مجانهم بالاصوات ، فانهم إلا  
يصيرون به أحرارا .

الحكومة الحاكمة حنة أو قبيحة ؟ سؤال ثانوى . أما السؤال الأساسى فهو :  
هل وجودها حق وشرعى ؟ فانى أعتقد أن مثل هذه الحكومة الاجنبية المتسلطة ،  
باعتبار أصل خلقها ، غير شرعية . لأن نفس وجودها ظلم وشر . فهى لو لم ترتكب  
جميع تلك المظالم التى ارتكبتها هذه الكثرة ، لكنت فى اعتقادى ظالمة وجائزة ،  
وبكنى لقبها وشاعتها أنها موجودة . نعم نعترف بحسناتها إن كانت لها حسنات ،  
ولكن يظل وجودها على كل حال ظلما وغير شرعى . ومثاله أن لو تسلط أحد  
على يينا وأداره إدارة حنة وعمل أعمالا صالحة ، فانه بهذه الحسنات لا يصير  
تسلطه حقا وشرعيا .

إن الشر يصح أن يمت ويضم بالكم والكيف ، فنقول : كم هو وكيف هو ؟  
ولكن لا يصح نفيه ونقيضه بالحسن والقيح ، فلا نقول : أحسن ، هو أم قبيح ؟  
نعم يقال : سرقة قبيحة ، ومكذبا الاستبداد ، فانى لا أستطيع أن أتصوره حنا  
وشرعيا فى حال من الأحوال ، لأنه بذاته وجوده قبيح وشر وغير شرعى ، ف  
ربما يوجد نوع من الاستبداد أخف وطأة ، وأقل ظلما وأكثر لنا من غيره ، ولكن  
الاستبداد الذى دم الهند لم يقف عند قبحه الخلقى ، بل مازال يكتسب السيئنا  
فوق السيئات ، والمكرات تلو المكرات ، ظلمات بعضها فوق بعض ، فاذن كيف  
يملن ظله ولا يشر قبحه ، ولا يثدد الكبر عليه ؟

الاسلام والاستبداد

إلى مسلم ، ولأن مسلم وجب على أن أندد بالاستبداد وأقبحه وأشهر مساو

ولعلم أن الإسلام لا يعترف بالحكومة الشخصية، ولا بحكومة عصبة من الموظفين يتقدون روايتهم، لأنه نظام كامل للجمهورية، وإنما جاء ليرد إلى النوع الانساني حريته المنصوبة التي كان اغتصبها الملوك المستبدون، والحكومات الاجنية، والرؤساء الروحانيون ذوو الاهواء، والرجال الاقوياء من الجماعة. وقد كانوا يعتقدون أن الحق للقوة والتسلط، والقهر والغلبة. ولكن الاسلام بمجرد ظهوره أعلن أن الحق ليس في القوة، بل الحق هو الحق، وإنه ليس لأحد من البشر أن يعبد عباد الله ويذلهم ويسخرهم. ثم قضى على سائر الامتيازات والمناصب المؤسسة على الغلبة القومية والجنسية قضاء تاماً، وبين أن الناس كلهم متساوون في الانسانية، متساوون في الحقوق، متساوون في الحياة، وليس اللون والجنس والنسل معياراً للفضل والحسب، وإنما معياره «العمل، وحده، فأعلام قدرا وأكرمهم حسبا، أحسنهم عملا وأتقاهم لربهم: «يا أيها الناس إنا خلقناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إنا أكرمكم عند الله أتقاكم» - الحجرات.

### ❦ الاسلام نظام جمهوري ❦

إن الاسلام أعلن «حقوق الانسان»، قبل انقلاب فرنسا بأحد عشر قرناً، وليس مجرد إعلان، بل وضع نظاماً عملياً للجمهورية الحق بالناس في الكمال متناه، ونظيراً لنفسه في الاتقان، كما قال المؤرخ الشهير «غبون-أو-جبون»، فكانت حكومة نبي الاسلام وخلفائه الاربعة جمهورية كاملة، تشكل برأى الامة وإنتخابها ونيايتها. ولذا توجد في مصطلحات الاسلام كلمات جامعة لهذا الغرض لا توجد مثلاً في لغة ما. بحيث إنه لم يعترف بوجود ملك ومنصب، وعوضه بمنصب لرئيس الجمهورية، ساء به «الخلافة»، وهي في اللغة «النيابة»، وسمى صاحبها بـ «الخليفة»، أي «النائب»، الذي لا يملك قوة ولا نفوذاً بنفسه، وكذلك اختار لنظام الجمهورية كلمة «الشورى». ووصف المسلمين بقوله «وأمرهم شورى بينهم»، والشورى ضد الاستبداد. فقرر به

أن جميع أعمال الحكومة يجب أن تكون برأى الجماعة وشوراها، لا برأى شخص وحده - فأى اسم للجمهورية ورئيسها ونظامها يكون أحسن وأجمع من هذه الأسماء الإسلامية؟

### ❦ البيروقريسي الوطنى والإسلامى ظلم أيضاً ❦

فأدام الإسلام بهر المسلمين عن قول حكومة إسلامية لم تشكل برأى الأمة وانتخابها. فأن تكون قيمة هذا البيروقريسي، الأجنبي Burocracy في عين المسلمين؟ وما أه لو تقوم الآن في الهد حكومة إسلامية على نظام شخصي، أو تكون بيروقريسيا لطائفة من الوطنيين. فان الإسلام يوجب على أن أسمياها أيضاً طالمة وحائرة. وأمر لهاها ونقضها كما فعل الآن ولست يدع. فعلماء الإسلام مازالوا يحامرون نظم الولاية ويحاسبون المستبدين من المسلمين أنفسهم.

وإن لاغزف بكل الأسف أن نظام الإسلام الجمهورى لم يعمل به طويلا بل أضلت التبصيرة والكسوبة ولاية المسلمين، فحادوا عن الطريق وآثروا التشبه بفيسر وكسرى واستكفوا من التشبه بأسلافهم الخلفاء الراشدين، الذين عاشوا طول حياتهم في ثياب رثة كآحاد الناس، يد أنه لم يخل عهد من أصحاب الحق الذين نافقوا الملوك والسلاطين في استبدادهم ونفردهم بالحكم. وتحملوا جميع تلك المصائب التي صبت عليهم في هذه السيل وجوه مستبشرة.

### ❦ الوظيفة المالية للمسلمين إعلاء الحق وإعلانه ❦

ولعمري إن المطالبة من مسلم بأن يسكت عن الحق ولا يسمى الظلم ظلما، مثل مطالبه بأن يتنازل عن حياته الإسلامية، فان كنتم لا ترون لأنفسكم أن تطالبوا أحدا بأن يترك دينه، فليس لكم أن تطالبوا مسلما بأن يتمتع عن قوله للظلم إنه ظلم، لأن معنى كلتا المطالبتين واحد.

إن التصديق بالحق وإعلانه عنصر ضروري للحياة الإسلامية، فإن فصل عنها قدت أكبر ما تمتاز به، لأن الإسلام أسس قومية المسلمين عليه، وجعلهم شهداء الحق على العالم كله، فكما يجب على الشاهد أن لا يتوانى في ابداء شهادته كذلك يتحتم على المسلم أن لا يتنفع في إعلاء الحق، ولا يبالى في أداء فرضه بمصيبة وابتلاء، بل يصعد به حينما كان، ولو لاقى دونه الحام. وتصير هذه الفريضة أوكد وأوجب عندما يسود الظلم والجور، ويمنع الناس من اعلان الحق بالعنف والشدة، لأنه إن أجيز السكوت عنه خوفا من بطش الجبارين الذين يقطعون الألسنة ويفتنون الأبدان بأنواع من العذاب، يصبح الحق في خطر دائم، ولا يبقى لظهوره وقيامه من سيل، مع أن ناموس الحق فوق القوة. وليس بمحتاج في ثبوته إلى تصديق القوة، ولا يضره سكوت الناس عنه قاطبة، بل إنه يظل على كل حال حقا، حقا عندما نجد في سبيله ما نحب ونشتهى، وحقا عندما يكون دونه الموت الزؤام، وهل تصير النار بردا، والثلج نارا لآتنا نحبس ونسجن؟

### ❦ وجوب الشهادة بالحق وخطر كتمانها ❦

لهذا أنبيء المسلمون في كتابهم أنهم «شهداء الحق» في أرض الله. فالشهادة بالحق والصدع به وظيفتهم الملية وديانتهم القومية التي تميزهم عن سائر الأمم الغابرة والآتية: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس». وقال لهم نبيهم (ص): «أنتم شهداء لله في الأرض». فالمسلم مادام مسلما لا يستطيع كتمان هذه الشهادة وإن حبس أو قتل أو ألقي جسده في النيران المتأججة.

وأخبر القرآن بأن من يكتم شهادته يئوه بغضب الله، وماواه جهنم وبئس المهاد وكذلك أنبا أن الأمم الكبيرة لم تهلك إلا لأنها كتمت الحق: «إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله

ولعنهم اللاعنون<sup>٢</sup>.. وقال: «لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود  
وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر  
فعله، لنس ما كانوا يفعلون».

### ❖ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ❖

ولما نجد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من آكد الفرائض الإسلامية.  
وقد أصر القرآن أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أساس لعظمة المسلمين  
ونظامهم القومي، وأهم خير الأمم لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر،  
وأهم إن حادوا عنه يفتقدون سؤدهم ومجدهم الشاخ: «كنتم خير أمة أخرجت  
للناس تأمرون بالمعروف ونهون عن المنكر»-(١٠٦:٣) وقال النبي (ص) «والذي  
نفس يده لأأمرن بالمعروف ولنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم  
عذاباً من بعده، ثم لدعه ولا يستجاب لكم» (رواه الترمذي عن حذيفة).

وأما أداء هذه الفريضة فعل ثلاث درجات في ثلاث حالات مختلفة. قال النبي  
صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكراً فليغيره يده، فإن لم يستطع فليسه، فإن  
لم يستطع فليقله، وذلك أضعف الإيمان»-(رواه مسلم).

وحيث إتنا لسوء حظنا لا نقدر في هذه البلاد على تغيير منكرات الحكومة  
بأيدينا لجأنا إلى الدرجة الثانية التي في وسعنا، وهي أن نعلن بالسكتنا ظلماً ومساوئها،  
وتعدد بمثلها ونشر بمحايلها.

### ❖ الأركان الأربعة ❖

إن القرآن وضع أساس الحياة الإسلامية على أربع دعائم: الإيمان، والعمل  
الصالح، والتوبة بالحق، والتوبة بالصبر. فالإيمان والعمل الصالح معناها ظاهر،

ما «التوصية بالحق» فهي أن يوصى كل أخاه بالتزام الحق.

«والتوصية بالصبر» هي أن يتواصيا بتجشم الممالك وتحمل النوازل في سبيل الحق، وإنما قرنت هذه بتلك لأن وقوع المحن والمشاق أمر لا مناص منه في بيته: «والمصر إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر»

### ﴿ التوحيد الاسلامي والأمر بالمعروف ﴾

التوحيد أساس الاسلام، وقطب رحاه، وضده «الشرك» الذي أشرب المسلمون نضه في قلوبهم، ومعنى التوحيد أن يوحد الله في ذاته وصفاته، والشرك هو أن يجعل له سبحانه شريك في ذاته أو صفاته. والتوحيد يعلم المسلمين أن الخوف والخشوع لا يكون إلا لله الواحد العظيم، أما غيره فلا يخاف منه ولا يخشع له، وأن من يخشى غير الله فهو مشرك به وجاعل غيره أهلاً للخوف والطاعة. وهذا ما لا يجتمع مع التوحيد أبداً.

الاسلام من أوله إلى آخره دعوة عامة إلى البسالة والجرأة والتضحية والاستهانة بالموت في سبيل الحق، والقرآن يكرر هذا مرة بعد أخرى: «لا يخشون أحداً إلا الله». وكفى بالله حسيباً، (٣٩:٣٣) «من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله» (٢٠:٩) «ولا يخافون لومة لائم» (٥٨:٥) «إنا ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون، إن كنتم مؤمنين» (١٧٥:٣) «أليس الله بكاف عبده؟ ويخوفونك بالذين من دونه، ومن يضلل الله فما له من هاد» (٣٥:٣٩)

والرسول (ص) يقول: «خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه، قتلته» رواه الحاكم عن جابر على شرط الصحيحين. وفي رواية

أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائره (رواه أبو داؤد وابن حاجه والترمذى)  
وقد كان بأخذ العهد من أصحابه أن يقولوا بالحق أبنا كانوا (كما رواه عبادة بن  
الصامت وأخرجه الشيخان)

وقد ابيضت عين الدهر ولم تر مثل هذه الضحايا العظيمة الكثيرة في إعلاء كلمة  
الحق التي قدمتها الأمة الإسلامية في كل دور من حياتها، فتراجم علمائها ومشايخها  
وسادتها عارة عن هذه الضحايا.

ألا فتلطم الحكومة الانكليزية أن المسلم الذي أمره ربه أن يرحب بالموت الآخر  
ويبتذل في لمح الدوام والكوارث. ولا يقلل السكوت عن الحق، لا يخيفه قانون ١٢٤  
من العقوبات المهدية. ولا يردده عن دبه وأداء فريضته. إذ أكبر عقاب في هذا  
القانون حسس المرء طول حياته. والمسلم يرحب به ويتمناه إن كان لا بد منه في  
سبيل الحق.

### ❦ لا يوجد في الاسلام قانون ١٢٤ ❦

إن تاريخ الأمة الإسلامية يقسم إلى دورين مختلفين، فالدور الأول، دور  
في الاسلام (من) وخطاه الأربعة، وقد كان النظام الاسلامي الجمهوري فيه قائما  
بأنهم معانيه. فكانت الأمة منتمية بالجمهورية الحق، ترتع في رياض المساواة الإسلامية  
العامة. وتعيش عبثة هنية في ظلال الحرية الكاملة، لا تخيفها الملكية المطلقة، ولا  
تثقل كواهلها القصرية والكسرية. خليفها ورئيس جمهوريتها من آحادها، تنصبه  
بأيديها وتحمسه في جليل الأمور وخفيها، ولا تسمح له أن يحسف بها أو يستبد  
برأيه دون رأيها. وهو نفسه يكون من أعدل الناس وأفضلهم وأعلمهم بوظائف الخلافة  
والحكومة، يعيش عبثة الفقراء والمساكين، يستر جسده بأطمار بالية، ويسكن في كوخ  
حقير. ولم يكن إذ ذاك بدار الخلافة الإسلامية، القصر الأبيض، لجمهورية أمريكا.

وقد كان المسلمون في هذا الدور يقاطعون الخلفاء ويناقشونهم وهم على المنابر يخطبون، حتى إن عجوزاً من عجائز العاصمة كانت تتجراً عليهم وتخطب الواحد منهم على ملأ من الناس بقولها «إن تزغ عن الحق نقومك بسيفنا»، والخليفة لا يؤاخذها ولا يعاقبها على ذلك بجناية «الثورة»، بل يشكر الله ويحمده أن وجد في الأمة ألسنة صادقة ذرية في إعلان الحق كهذه العجوز. وقد قام الخليفة مرة يوم الجمعة خطيباً وقال «اسمعوا وأطيعوا»، فرد عليه رجل قائلاً: «والله لا نسمع ولا نطيع لأنك خنت الأمانة»، وأخذت القماش أكثر من سهام المسلمين، فنادى الخليفة ابنه، فشهد أن أباه لم يخن المسلمين، بل إنني قد أعطيته سهمي من القماش، ومن سهمينا فصلت الجبة والرداء.

وقد كان سير الأمة هذا مع ذلك الخليفة الذي كانت تفشع من خشيته جلود الملوك في عقر دورهم، وتخر أمام هيئته عروش فارس ومصر، وتزلزل من بأسه جدران القسطنطينية، ولكن مع هذا كله لم يكن عند الحكومة الإسلامية قانون ١٢٤ يحاكم به الخليفة معارضيهِ من أصحاب الحق.

أما الدور الثاني فدور الحكومة الشخصية والملكية المطلقة، بدأ باستيلاء بني أمية على الخلافة قهراً وعنوة، فانقلبت فيه الجمهورية الإسلامية على رأسها وحل الاستبداد والقهر محلها، وظهر مكان الخليفة الإسلامي ملك مكلل بتاج الملك، متربع على عرش الحكومة المذهب. ولكن استبداد هذا الدور مع سائر عقوباته المريعة من الجلد بالسياط، والحبس في السجون، والقتل بالسيوف، لم يستطع أن يصد المسلمين عن إعلان الحق، ويقعدهم عن الذود عنه وحمايته، بل ظلت ألسنتهم حادة ذلقة في اعلانه، ونفوسهم متهيئة لتقديم المبع في سبيله، فأصحاب الرسول (ص) ما عاشوا ظلوا ينددون بظلم الولاة ويشهرونه، ويطلبونهم بتغييره، وجعل الحكومة شورى بين المسلمين.<sup>١</sup> ثم قام مقامهم التابعون الذين تربوا في حجورهم وتخلقوا بأخلاقهم،

١ - أراد معاوية بن أبي سفيان أن يجعل ابنه يزيد خليفة بعده وأعد يكره الناس على مبايعته، فقام عبد الرحمن بن أبي بكر فرد عليه قائلاً: «أمر قلية؟ إذا مات كسرى قام كسرى مكانه، والله لا تفعل أبداً».



فكانوا خير خلف لخير سلف، ما عابوا غير الله، وما دأبوا أحداً من خلقه. بل كانوا يجهلون بالحق، ويقولون للجارية والطواغيت «أصلحوا، أو زولوا، أزالكم الله!». وقد عد الإمام محمد الغزالي أولئك الصحابة والتابعين الذين كانوا إلى زمن الخليفة هشام بن عبد الملك وأنكروا ظلم الأمراء وطالوم بحكومة الشورى والنبابة، فبلغ عددهم أكثر من ثلاثة وعشرين رجلاً. وإني أنه هنا أنه لا يوجد في شريعة الإسلام قانون ١٢٤ (من الفوائض الهندية) الذي كان يمنع هؤلاء الاختيار، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإعلان الحق، وتبجيع الظلم.

طلب الخليفة الأموي الشهير هشام بن عبد المطلب، طاووس الياقوتي يوماً إلى مجلسه. فلما دخل عليه، لم يسلم عليه بأمر المؤمنين، ولكن قال «السلام عليك يا هشام!». وجلس بإمراته، وقال «كيف أنت يا هشام؟». فنضب هشام غضباً شديداً حتى حمضته، وقال له «يا طاووس: ما الذي حملك على ما صنعت؟». قال «وما الذي صنعت؟». فازداد غضباً وغيظاً، وقال «دخلت فليكن بحاشية بساطي، وما قبل يدي، ولم تسلم علي بأمر المؤمنين، ولم تكني، وجلست بأزائي بغير إذنك وقلت ~~كيف~~ أنت يا هشام». قال «أما ما فعلت من خلع نعلي بحاشية بساطك فاني أظنهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات، وأما قولك لم تقبل يدي فاني سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول، (لا يحمل لرجل أن يقبل يد أحد إلا أمراته من شهوة، أو ولده من رحمة)، وأما قولك لم تسلم علي بأمر المؤمنين فليس كل الناس راضين بأمرتك. فكبرمت أن أكذب. وأما قولك جلبت بأزائي، فاني سمعت أمير المؤمنين علياً يقول (إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أمة النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام). قال هشام عظمي. فقال «سمعت أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أن في جهنم حيات كالقنابر، وعقارب كالبنات تنمخ كل أمير لا يعدل في رعيته». ثم قام - انتهى ملخصاً.

وكان مالك بن دينار ينادى فى جامع البصرة «إن الله دفع إلى هؤلاء الملوك غنا سمانا صحاحا، فأكلوا اللحم، ولبسوا الصوف، وتركوا عظاما تتفقع».

وخاطب أبو حازم، سليمان بن عبد الملك الجبار بقوله «إن آباءك قهرروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم، حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة، وقد ارتحلوا، فلو شعرت بما قالوا وما قيل فيهم».

فقال له رجل من جلسائه «بئسما قلت». قال أبو حازم: إن الله قد أخذ الميثاق على العلماء «ليئنه للناس ولا يكتُمونه»، قال سليمان: وكيف لنا أن نصلح هذا الفساد؟ قال: أن تأخذه من حله، فتضعه فى حقه. فقال سليمان: ومن يقدر على ذلك؟ فقال من يطلب الجنة ويخاف من النار، فقال سليمان أَدْعِ لى، فقال أبو حازم «اللهم إن كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والآخرة، وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى». فقال سليمان: أوصنى، فقال أوصيك وأوجز، عظم ربك وزمه أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك من حيث أمرك.

وكان سعيد بن المسيب التابعى الكبير يقول على رؤس الأشهاد فى ولاية زمنه: يجمعون الناس، ويشبعون الكلاب.

وقد ظل علماء الاسلام على هذه الديانة بعد عهد بنى أمية، غير هيايين ولا وجلين فى عهد العباسية، فهذا المنصور الخليفة العباسى القهار لما قال لسفيان الثورى «ارفع إلينا حاجتك»، رد عليه قائلا «اتق الله! فقد ملأت الأرض ظلما وجورا».

### ❦ كتاب هارون الرشيد ❦

ولما استقر على منصة الخلافة هارون الرشيد الخليفة العباسى الشهير، كتب إلى سفيان الثورى كتابا يده، يقول فيه:

«من عبد الله هارون الرشيد أمير المؤمنين، إلى أخيه سفيان بن سعيد ابن المنذر.

الحاج، يا أخى، قد سمعت أن الله جبار لا يهلك أى من المؤمنين و جعل ذلك فيه وله. واعلم أنى قد واخبتك مواعاة لم أصرم بها جلك، ولم أقطع منها ودك، وإنى منطورك على أفضل المحبة. واعلم يا أبا عبد الله أنه ما بقى من إخوانى وإخوانك أحد إلا وقد زارنى وهنأتى بما صرت إليه، وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسى، وقرت به عينى، وإنى استبطأتك فلم تاتى، وقد كنت إليك كتاباً شوقاً مئ إليك شديداً، وقد علمت يا أبا عبد الله، ما جاء فى فضل المؤمن وزيارته ومواصلته، فإذا ورد إليك كتابى فاعجل العجل.

وهل يعلم اللورد ريدنج من كان هذا الرشيد الذى يكتب إلى عالم من علماء المسلمين بهذه اللغة اللينة؟ إنه قد كان يحكم ربيع الكرة الأرضية ويخاطب قيصر الروم فى كتاب منه إليه بـ «يا ابن الكلب»، كما صرح به المؤرخ جين الانكليزى. ثم هل علم بما رد عليه ذلك العالم؟ إن لم يعلم فليسمع منى جوابه ثم يتدبر فيه، فإنه يحلى له ما خفى عليه من حقيقة الاسلام، وجرأة المسلمين فى إعلان الحق، ويبين له أن ما تطلبه حكومته منا لا ينال، وأن المسلم لا يمتنع من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولو لجمع فى النفس والمال.

قد كان من حديث سفيان أنه لما أتاه الرسول بكتاب الخليفة، كان فى مسجد الكوفة وحوله أصحابه، فرمى إليه الرسول الكتاب، فلما رآه ارتعد وتباعد منه، كأنه جنة عرضت له. ثم أدخل يده فى كفه ولفها بعباءته وأخذ الكتاب قلبه يده ثم رماه إلى من كان عنده، وقال يأخذه بعضكم بقرؤه، فأتى استغفر الله أن أس شيتاً منه ظالم يسده، فلما فرغ من قراءته، قال «أقبلوه واكتبوا إلى الظالم فى ظهر كتابه». فقبل له «يا أبا عبد الله إنه خليفة، فلو كتبت إليه فى قرطاس قى». فقال: «اكتبوا إلى الظالم فى ظهر كتابه، فإن اكتسبه من حلال فسوف

يجزى به، وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به، ولا يبق شئ منه ظالم عندنا، فيفسد علينا ديننا. ثم قال اكتبوا:

«من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثوري، إلى العبد المغرور بالآمال هارون الرشيد، الذى سلب حلاوة الايمان. أما بعد، فاني قد كتبت إليك أعرفك أن قد صرمت حبلك، وقطعت ودك، وقليت موضعك، فانك قد جعلتني شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنفقته في غير حقه، وأخذته في غير حكمه، ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناه عني، حتى كتبت إلى تشهدني على نفسك. أما أني قد شهدت عليك أنا وإخواني الذين شهدوا قراءة كتابك، وستودى الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى. يا هارون! هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضام، هل رضى بفعلك المؤلفة قلوبهم، والعاملون عليها في أرض الله تعالى، والمجاهدون في سبيل الله، وابن السبيل؟ أم رضى بذلك حملة القرآن وأهل العلم، والأرامل والأيتام؟ أم هل رضى بذلك خلق من رعيتك؟ فشد يا هارون منزرك، وأعد للسألة جوابا، وللبلاد جلبابا، واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل، فقد رزئت في نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الأخيار، ورضيت لنفسك أن تكون ظالما، وللظالمين إماما. يا هارون، قعدت على السرير، ولبست الحرير، وأسبلت سترا دون بابك، وتشبهت بالحجبة رب العالمين، ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون.

«أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس؟ فكيف بك يا هارون غدا، إذا نادى المنادى من قبل الله تعالى: (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) أين الظلمة وأعوان الظلمة؟ قدمت بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان إلى عنقك، لا يفكها إلا عدلك وإنصافك، والظالمون حولك وأنت لهم

سابق وإمام إلى النار. كأنى بك يا هارون. وقد أخذت بضيق الخناق، ووردت المساق، وأنت ترى حسانتك في ميزان غيرك، وسيئات غيرك في ميزانك، زيادة عن سيئاتك، بلا. على بلا.. وظلة فوق ظلة، فاحتفظ بوصيتي، واتعظ بموصيتي التي وعظتك بها، واعلم أنى قد نصحتك وما أقيت لك في النصح غاية والسلام..

فلما وصل هذا الكتاب إلى هارون أقبل يقرأه ودموعه تنحدر من عينيه، ويقرأ ويشقى. ثم لم يزل كتاب سفيان إلى جنب هارون، يقرأه عند كل صلاة حتى نوى. انتهى ملخصا

ولم يكن العلماء والأئمة هم الذين يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر وحدهم، بل كان يوجد إذ ذاك من دهما المسلمين وعامتهم من يؤدي هذه الفريضة بكل شجاعة ورباطة جأش. فبينما كان الخليفة المنصور العباسي يطوف بالبيت إذ سمع رجلا عند الملتزم يقول: اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع، فدعاه المنصور وقال: ما هذا الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع والظلم؟ فقال: الرجل الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق وإصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الأرض، أنت. قال المنصور: ويحك كيف يدخل الطمع، والصفراء والبيضاء في يدي، والحلو والحامض في قبضي؟ قال: وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك، إن الله استرعاك أمور المسلمين وأموالهم، فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر، وأبوابا من الحديد، وحجة معهم السلاح، ثم هنت قلبك فيها منهم، وبشت عمالك في جمع الأموال وجبايتها، واتخذت وذررا وأمراتا ظلة، إن نسبت لم يذكروك، وإن ذكرت لم يعينوك، وقويتهم

على ظلم الناس بالأموال والكراع والسلاح، وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان نفر سميتهم. فاستمروا على أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا، فامتلات بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل،— إلى آخره. فبكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارفع صوته.

ومن ذا الذي لم يسمع بظلم داهية بنى أمية الحجاج بن يوسف اثقفي وغلفته وسفكه للدماء، ولكنه مع جبروته وغطرسته لم يستطع صد المسلمين عن إعلان الحق، فلقد جرى إليه يوما بحطيط الزيات أسيرا، فلما دخل عليه، قال أنت حطيط؟ قال نعم، سل ما بدا لك، فاني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال: إن سئلت لأصدقن، وإن ابتليت لأصبرن، وإن عوفيت لأشكرن.. قال فما تقول في؟ قال أقول: إنك من أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم، وتقتل بالظنة. قال فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان؟ قال أقول: إنه أعظم جرما منك وإنما أنت خطيئة من خطاياهم.

ودخل رجل من المسلمين على المأمون بن الرشيد وقال له على ملا من رجاله: يا ظالم، أنا ظالم إن لم أقل لك يا ظالم. فأقبل عليه المأمون وقال من أنت؟ قال: أنا رجل من السياحين، فكرت فيما عمل الصديقون قبلي، فلم أجد نفسي فيه حظا، فتعلقت بموعظتك لعلي ألحقهم. فأمر بضرب عنقه.

فكذا كان المسلمون في الأيام الأولى يتقربون إلى مولاهم بتعرضهم للوك والسلاطين وتخشينهم لهم في القول وتقديم مهجهم للهلاك، ولقد ظلوا على هذه الوتيرة بعد، ولا يزال يوجد فيهم الربانيون يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر حتى يأتي أمر الله، كما ورد في الخبر ولا يزال طائفة من أمق ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون..

### الفتنة التارية والفتنة الغرية

فلا تفتنهم الفتنة الحديثة الغرية، ولا تستطيع ردعهم عن عملهم الحق، إذ هي ليست بمجدبة لهم، فلقد دهموا قبلها بالفتنة التارية، وزلزلوها زلزالاً شديداً. فكما نرى الدول الأوروبية ولا سيما انكلترة قد دمرت البلاد الإسلامية، ومزقت شمل الخلافة العثمانية، ونقضت على حرية الممالك الشرقية، وأباححت سفك دماء المسلمين أنهاراً في السهول الأفاضولة. كذلك كانت الفتنة التارية، والتار لم يكونوا أناس بل سباعاً ووحوشاً، أهالوا على البلاد الإسلامية كالسيل الجارف، ووضعوا السيف في رقاب المسلمين، ودمروا الخلافة العباسية ودخلوا بغداد لجاسوا خلال الديار. ولكن هل قدرت سيوف هلاكهم ومنكو وأباقآن السفاكين، أن تقهر العلماء الربانيين وتسكتهم عن الحق؟ كلا. فهذا شاعر إيران الشهير السعدي الشيرازي قد قال هلاًكو خان وجها لوجه: «إنك ظالم»، ودعا شمس الدين التاري على منكو خان وهو يسمع ويرى، ولعن شيخ الإسلام أحمد بن تيمية أباقآن في حضرته وعلى ملا من جنوده. نعم كانت في أيدي التار السيوف البارة تطير الهامات في طرفه عين، ولكن لم يكن في الثورة الجنكيزية، قانون ١٢٤ الذي امتازت به الدولة البريطانية المدنية في بلاد الهند!

### الحجاج وريدنغ

فإذا كنا نحن المسلمين نعامل حكومتنا الإسلامية هذه المعاملة، فماذا يرجوه منا عمال هذه الحكومة الأجنبية؟ وهل تكون الحكومة الانكليزية الهندية، القانونية، أسكرم علينا من الحكومات الإسلامية التي طاعتها واجبة علينا شرعاً ودينياً؟ وهل دولة الملك جورج الخامس ونيابة اللورد ريدنغ أعز علينا من خلافة عبد الملك بن مروان ونيابة الحجاج بن يوسف الثقفي؟ ولو غنضنا الطرف عن الفرق الشرعي العظيم بين الحكومة الأجنبية غير الإسلامية

والحكومة الوطنية الاسلامية، وأنزلناهما منزلة واحدة، أفلا نقول في حكومات «جيمسفورد»، و «ريدنغ»، ما قلناه في حكومات الحجاج وخالد القسرى من قبل؟ قد قلنا يومئذ: أتق الله، فقد ملأت الأرض ظلما وجورا! وهذا هو الذى نقوله اليوم، ولا نزال نقوله حتى يزول الاستبداد أو نزول نحن!

والحقيقة أن ما نعمله الآن في الهند من ترك التعاون ومقاطعة الحكومة، إنما كنا أمرنا به في مقابلة ظلم الولاة من المسلمين، لا في مقابلة الأجانب. ولو فهم أساطين بريطانيا ودعاتها هذه الحقيقة، لاعترفوا بأن مساهلة المسلمين ومداراتهم قد بلغت متنهاها، وأنه لا ينبغي أن ينتظر منهم أكثر من هذا، إذ ليس وراه إلا الارتداد عن الاسلام أو النفاق فيه، ولا يمكنهم أن يفعلوا ذلك حبا في سواد عيون البريطانيين (أو زرقها).

### ❦ وظيفة المسلمين إذا ظلوا ❦

إن الشريعة الاسلامية رسمت للمسلمين خطتين إذا ظلوا، خطة ضد إستبداد الحكومة الاسلامية، وخطة ضد إستبداد الحكومة الاجنية. والأولى تنحصر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإعلان الحق وتقييح الظلم من استطاع إليه سبيلا. أما الثانية فليست إلا السيف والحرب العوان وضرب الرقاب. وفي كليهما أمر المسلمون بأن يضحوا نفوسهم ويرحبوا بالموت صابرين ثابتين شاكرين، راجين رحمة ربهم وفلاح الدنيا والآخرة. ولذا تجدهم كما تجرعوا كؤوس المنايا بين الولاة الظلمة من أقسمهم في سبيل الحق، كذلك باعوا رؤوسهم بيد الأجانب في إعلاء كلمة الحق، وقد سبقوا سائر الأمم في هذا المضمار، فلا يوجد «لسعيم الحربى»، مثال، ولا يوجد «لسعيم المدنى»، مثال.

ولقد كان يجب على مبلى الهند الآن أن يتخذوا الخطوة الثانية فيحاربوا



الحكومة الانكليزية بالسلاح ويتفانوا في جهادها، غير أنهم آثروا الأولى، وأعطوا أنهم لا يرضون عليها السلاح. ولا ينفكون الدماء، بل يظنون متمسكين بمرى الأمن والسلام. وإنما يقاطعونها، وينفضون أيديهم من التعاون معها ويشهرون سوءاتها. ويطلبون تغييرها، بالسعى المدني، أى يعاملونها كما كانوا يعاملون الحكومات الاسلامية الجائرة.

أجل، إن فيهم ضغنا وهنا، ولا يستطيعون محاربة الدولة البريطانية القوية، إلا أنهم لم يكونوا عاجزين عن إلقاء أقسم في أفواه مدافعها وسد طرقها بحشيش الممزة، ولكم مع قدرتهم عليه اختاروا الخطة الأولى، ولم يضيقوا عليها السبل. فبلا كان يجب عليها أن تفكر في صنيعهم وتساعدهم معها؟ فحسبها أنهم يعاملونها كما ملتهم لحكوماتهم الاسلامية!

### انقلاب الحال

وإلى أقول حقا إنه لا يؤتى أن أرى الحكومة عازمة على معاقبتي، وأنها لا تحاكى إلا لأن تزجنى في السجون، إذ هذا أمر لا بد منه، وإنما الذى يؤتى فيفت كبدى هو أن أرى الحالة تنقلب إنقلابا تاما. فبلا من أن ينتظر من المسلم صدق اللمجة والقول الحق، يطلب منه السكوت عنه وكتمان الشهادة، وأن لا يقول للظالم، إنك ظالم، لأن قانون ١٢٤ يعاقب عليه!

ولقد كان المسلم فى العهد الاول يوقف بين يدى ملك جبار لقوله له: إنك ظالم، فيصب عليه العذاب إلى أن تتشقق له القصب، ثم يمدون قصبه قصبه حتى يذهب لحمه كله، فلا يسمعون به يستغيث أو يندم أو يتألم، بل لا ينفك لسانه يقول ما قاله أولا! فوازنوا بين هذا وبين قانونكم ١٢٤.

١ - وهو قبل هذا الحاج بن يوسف الذى مع حبيب الزيات الذى مرت حكاية أنا - المترجم.

ولست أنكر أن الحقيقة المحزنة هي أن المسلمين أنفسهم مسئولون عن هذا الانقلاب المخزى وتسلط الأجانب عليهم، لأنهم قد فقدوا خصائص الحياة الإسلامية، وكسبوا جميع رذائل العبودية، حتى أصبحوا بمحالتهم الحاضرة أكبر فئة للإسلام. أقول هذا وقلبي يذوب حزناً وكداً على وجود أناس من المسلمين في هذه البلاد، يتخذون أرباباً من دون الله ويعبدون الظلم والظلمة جهرًا وعلناً، فإلى الله المشتكى ثم إلى الله المشتكى!

### الحرية أو الموت

ولكن سوء حال المسلمين لا يسود ناصية تعاليم الإسلام الحق البيضاء المصونة بين دفتي الكتاب الحكيم. وهي لا تتيح للمسلمين في حال من الأحوال أن يعيشوا عبيداً وخولا للأجانب والمستبدين، بل توجب عليهم أن يصبحوا أحراراً، أو يموتوا كراماً، وليس بينهما سبيل.

وهذا الذي حملني قبل اليوم باثني عشرة سنة على أن أذكر المسلمين في الهلال، بأن الجهاد في سبيل الحرية، وبيع الرؤس لأعلاء كلمة الحق هو إرثهم الإسلامي القديم الذي ورثوه عن أجدادهم العظام، وأنه يجب أن يحافظوا عليها بكل قوة، وأن دينهم يحتم عليهم أن يسبقوا جميع أبناء وطنهم في الجهاد الوطني، فلا يكونوا فيه أذناناً، بل رؤوساً وأعلاماً يهتدى بهم. ولقد كان من فضل الله أن دعوتي لم تذهب أدراج الرياح، بل لقيت القبول والاجابة منهم، وها نحن أولاً نراهم اليوم قد شمروا عن ساعديهم وعزموا أكيداً على السعى والعمل مع إخوانهم الوطنيين من الهندوس والنصارى والمجوس لتحرير وطنهم من ربة العبودية الأجنبية، ولا يقر لهم قرار إلا بعد نيل المرام.

## مسألة الخلافة

والى لا أذكر هنا مظالم الحكومة خلال الخلافة الإسلامية لأنها أشهر من أن تذكر. ولكن الذى أريد التصريح به هو أنه لم يمض على يوم ولا ليلة فى خلال السنين الماضيتين إلا وأعلنت تلك المظالم على رؤس الأشهاد، وصرخت بأعلى صوتى قائلاً: إن الدولة التى تدوس الخلافة الإسلامية تحت أقدامها ولا تدم على ما اقترفته فى الهند من الفظائع والمكرات لا تستحق أن يخاص لها أحد من أبناء هذه البلاد. لأنها بأعمالها قد أصبحت عدواً للسلام والمسلمين وللكان هذا القطر.

ولا تلوم الحكومة أحداً غير نفسها على سقوطها فى هذا المأزق الذى يصعب عليها الخروج منه. لانى قد انتهت سنة ١٩١٨ من معتقلي فى كتاب منى إلى اللورد جيمس فورده، الوالى السابق، فصلت لها فيه الأحكام الإسلامية التى تتعلق بالخلافة وجزيرة العرب، وصارحتها بأن الدولة البريطانية إذا نقضت عهودها، واستولت على الخلافة والبلاد الإسلامية، توقع المسلمين فى حالة حرجة جداً ولا يبقى لهم إذ ذاك إلا أن يكفوا مع الإسلام أو مع البريطانية، ومعلوم أنهم يؤزرون الإسلام عليها.

ولكنها لكبرها وعجزها لم تنال بما كتبت، فألقت كتابي ظمرياً، ونكشت أيمانها من بعد نوكبها. فاحتلت دار الخلافة الإسلامية واستولت على العراق والشام وفلسطين، وبسطت قهرها على جزيرة العرب، ففادت الإسلام والمسلمين طناً، واضطرتهم إلى مقاطعتها ونيل معوتها والتبرى من طاعتها (وهو أقل ما توجهه الشريعة فى مثل هذه الحالة كما مر) ثم إنها باصرارها على غيها واعراضها عنهم واستنكافها من الانصات إليهم، أباستهم من نفسها، حتى أيقنوا أن لا سبيل إلى الحياة ونيل حقوقهم المنصوبة إلا بإسقاط هذه الحكومة وإقامة حكومة

وطنية بحتة، وهي التي يسمونها في لغتهم «بالسوراج».

❦ أعدل هذا أم ظلم؟ ❦

والحاصل أن إعترافي في هذا الباب جلية وصریحة، فاني لا أعد الحكومة الحاضرة إلا (يسوروكريسيا) غير شرعی وعدمًا محضًا في عين الحق والقانون والرضا فئات الملايين من أبناء البلاد بمقتونها أشد المقت، ويطلبون زوالها وسقوطها بأسرع ما يمكن، لأنهم ألفوها دائماً تؤثر الرهبة والشدة في أعمالها على العدل والحق، وتبيح سفك الدماء البریئة بدون رحمة ولا شفقة في «جليانوالا باغ» وتجلد الصبيان الذين ما عرفوا الذنوب بعد، لأن ينحنوا أمام العلم البريطاني المثلث. ثم أنهم وجدوها لا ترتدع عن دوس الخلافة الإسلامية، ولا تسمع الصيحات المتوالية التي تلو من أفواه المسلمين وغيرهم، وتسلم أزمير وتراقية إلى اليونان ظلماً وجوراً، وتسمح لهم باراقة دماء المسلمين أنهاراً في سهول الأناضول.

ولقد رأوا جرأتها في سحق الحق غير قليلة، وهمتها في لبس الصدق بالانك غير كلية، ولسانها في تكذيب الحقائق غير عبي ولا متلعثم، فع أنه يوجد في ولاية أزمير ٧٠ في المائة من المسلمين، يعلن رئيس وزرائها بدون أدنى لكنة أن الاكثرية للنصارى، ولقد وضع اليونانيون السيف في رقاب المسلمين وذبحوهم ذبح الأنعام. وهو يقلب الحقيقة فيتهم العثمانيين بالقتل وسفك الدماء، ويشهر المظالم التركية المحترعة في العالم بلا مبالاة، ويخفي بكل وقاحة تقرير لجنة التفيتش الامريكية التي نذبتها حكومته بنفسها، ويؤلب على الاحرار العثمانيين الدول الغريبة كلها، ويدعوها إلى محاربتهم وإستصالحهم.

١ - هو ميدان محيط بالجدران بمدينة امرتسر من مقاطعة بنجاب، قتل فيه الجيوش الانكليزية مئات من الوطنيين، رجالاً ونحوهم وأطفالاً، كانوا اجتمعوا فيه ليقتلوا في بعض القوانين الجائرة - المرفوع.

ثم لهم وجدوها لا تخطل ولا تندم على هذه الفضائح والمنكرات، ولا  
ترغب في تلافيا وإصلاح عوجها، بل تصود، فتستبد أكثر من قبل، وتقرر  
البلاد وتكبح سعيها الشرعى السلى، وتعمل كل ما عملته في السنة الماضية، وما  
تعمله منذ ١٨ نوفمبر إلى الآن، من الأعمال الشنيعة التى تشتمز منها الانسانية  
وتنافيا.

فيا ليت شمرى، إن لم أقل لثل هذه الحكومة «إنك ظالمة، فاما أن تتوبى  
ولما أن تزولى». فاذا أقوله؟ أما كذب وأقول لها: لا بل إنك عادلة فلا  
تتوبى ولا تزولى؟ لمر الله، إن هذا لا يكون أبداً!

وهل يستحق الظلم أن يدل اسمه ويسمى بغير اسمه لأنه يملك القوة  
والسجون والمشايق؟ كلا، بل أقول كما قال صالح ايطالية وبطل الحرية «مبذى»،  
إننا لا نكت عن سيناكم لأنكم تملكون قوة عما قليل تزول!

❦ قرة عيني في هذه الجناية. ❦

إنى لأجيب كيف تقدم الحكومة هاتين الخطبتين النافعتين ضدى؟ أما  
كانت تهد غيرهما؟ أفلا توجد هذه الأقوال بعينها وأكثر منها فى الآلاف  
المؤلفة من الصحائف التى حبرتها، وفى جميع خطبى التى خطبتها فى سائر أنحاء  
الهند؟ قلو أنها رجعت إليها لوجدتها بمنزلة من هذه الأفكار الثورية.

الحكومة تعلم أنى لست حديث عهد «بمبادئ الثورة»، كما سميتها. فلقد مارستها  
وأنا صغير، وباشرت الخطابة والكتابة فيها وأنا ابن ثمانى عشرة سنة، وأقنيت  
شبابى فى عشقها والهيان بها، ودعوت أنى إليها جهرا على مسمع من الحكومة  
وحرضتها على المطالبة بحقوقها منها ولذا اعتقلنى أربع سنوات ولكن الاعتقال  
لم يكن يمنعنى من أداء واجباتى، فظلت تحت المراقبة الشديدة أرفع صوتى بها

وأدعو الناس إليها، لا سراً بل علناً في رابعة النهار—وكيف لا، وفيها قرة عيني،  
وهي مقصدي من الحياة، إن أعش أعش لأجلها وإن أمت أمت عليها (إن  
صلاحي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين).

### ❦ الحركة الإسلامية الأخيرة ❦

كيف استطيع التبري من هذه «الجناية» وأنا الذي قتت بهذه «الحركة  
الإسلامية» التي أحدثت انقلاباً عظيماً في أفكار المسلمين السياسية وأوصلتهم إلى  
حيث نراهم الآن، فإنهم بقبولهم أفكارى أصبحوا شركائى في الجريمة واستحقوا  
العقاب الذي تشرقى به الحكومة. ولقد أصدرت سنة ١٩١٢ صحيفة باسم  
«الهلal» بثت بها جرائم هذا الذنب في المسلمين، فعلقت بقلوبهم وسممت  
أفكارهم، فبعد أن كانوا أعداء لآخوانهم الهندوس وعقبة كؤودا في جهادهم الوطنى  
وآلة صماء بيد الحكومة، يعتقدون أن البلاد إذا استقلت، تغلب عليهم الهندوس  
وأسسوا دولتهم لأنهم أكثر عدداً منهم، أصبحوا بدعوة «الهلal» يرجحون  
قوة الايمان والحق على قوة العدة والعدد. ودعوتهم إلى مساهمة الهندوس في  
الجهاد الوطنى، فأصبحوا متحدين معهم وقاموا جميعاً بالحركة الحاضرة. وغنى عن  
البيان أن الحكومة لم تكن لتحمل الحركة التي أحدثتها «الهلal»، فعمدت إلى  
منعها واقفال مطبعتها. ثم لما أنشأت جريدة أخرى باسم «البلاغ» اعتقلتني.

ولإني أصرح هنا بأن «الهلal» لم تكن إلا دعوة للحرية أو الموت، وإن  
ما يعملها الآن «مهاتما غاندى» من بث الروح الدينية في الهندوس، كانت  
«الهلal» قد فرغت منه سنة ١٩١٤. وإن من المصادقات العجيبة أن المسلمين  
والهندوس ما قاموا بالحركة الجديدة القوية إلا بعد أن حلت فيهم الروحانية الدينية  
على المدنية الغربية المادية.

## ❖ مؤتمر الخلافة بـكلكتا ❖

ثم إلى منذ خرجت من الاعتقال الطويل ما برحت أنشر هذه المبادئ بين الناس وأدعوم إليها. ففي مؤتمر الخلافة الذي انعقد في ٢٨ و ٢٩ فبراير بكلكتا قسما والذي رأيت جلسته. حلت المسلمين على أن يعلنوا القرار الآتي:

«إن أصرت الحكومة على غوايتها، ولم تصنع لمطالبنا في مسألة الخلافة، يضطر المسلمون بأوامر دينهم أن يصرموا جميع أواصر الولاء التي تربطهم بها، وأقبت في هذا المؤتمر خطبة طويلة بينت فيها جميع تلك الأمور بيانا تاما - وهي توجد في هاتين الخطبتين ناقصة.

## ❖ التعاون والخدمة العسكرية ❖

ولقد شرحت في هذه الخطبة أن الشريعة توجب على المسلمين في الحالة الحاضرة أن يكفوا عن التعاون مع الحكومة وأن يقاطعوها مقاطعة تامة، وهذا هو «اللاتعاون» الذي أطلق عليه بعد اسم Non co-operation وتولى «مهاتما» قائدني، قيادته.

وفي نفس هذا المؤتمر أعلن: «أنه لايجل للمسلمين أن ينسلخوا في الخدمة العسكرية لهذه الحكومة. لأنها تحارب الخلافة والدولة الإسلامية». وإن من أجب العجب أن تتأخذ الحكومة أناسا وتعاقيهم لإعلانهم هذا الحكم في مدينة كراچی ولا تتأخذني به. مع أني صرحت مرارا على صفحات الجرائد وفي خطبي أن أول من قدم هذا الاقتراح وأعلن هذا الحكم الديني، هو أنا بعيني، فقد قرر وصدق عليه في ثلاثة مؤتمرات تحت رئاستي: أولا في كلكتا، ثم في بريلي، ثم في لاهور. وقد أعطت مرارا في غير هذه المؤتمرات، ودعوت الحكومة إلى

١ - هذه الحكومة الآخرين القسمة محمد علي وشوك علي وقرا غيرهما سجين لإعلانهم هذا في كراچی من مقاطعة الهند.

- القريش -

معاقبى فلم تجبى، مع أنى كنت أحق الناس وأولاهم بالعقاب عليه.

وقد طبعت خطبة مؤتمر كلكنا بعد زيادات فيها، ونشرت مع الترجمة الانكليزية مرارا، وهى بمثابة جدول مكتوب لجرائمى وذنوبى.

### حياتى كلها «جناية»

إنى قد طفت البلاد الهندية كلها عدة مرات فى خلال السنتين الماضيتين، وحذى ومع «مهاتما غاندى» ولا توجد بلدة إلا وقد خطبت فيها على مسئلة الخلافة وبنجاب و «سوراج» واللاتعاون، وبينت جميع تلك الأمور التى تحتوى عليها هاتان الخطبتان.

ولقد انعقدت جمعية الخلافة الكبرى فى ديسمبر سنة ١٩٢٠ مع الجمعية الوطنية العامة، بناغفور، وجمعية العلماء فى أبريل سنة ١٩٢١ ببرلى، وجمعية الخلافة لمقاطعة «اورهر» فى أكتوبر بأغره، وجمعية العلماء العامة فى نوفمبر بلاهور، وقد رأست هذه الجمعيات كلها، وخطبت فيها خطباً طويلة، قلت فيها ما قلت فى هاتين الخطبتين، بل أكثر منه وأشد.

فان كانت مطالب هاتين الخطبتين لا تلائم الحكومة، وترانى أستحق العقاب لأجلها تحت قانون ١٢٤، فلم لا تعاقبنى على جميع خطبى وهى كلها مثلها، بل أشد وطأة على الاستبداد منها؟ بل إنى مضطر إلى التصريح بأنى ارتكبت هذه الجناية مرارا يستحيل عدها، بل ما عملت فى السنتين الماضيتين غير هذه الجناية.

### اللاتعاون السلى

إتنا قد وضعنا لجهادنا الحق خطة «اللاتعاون السلى» أجل، إن القوات المادية واقفة أمامنا بجميع أسلحتها القتالة، وموادها العظيمة تريد أن تسحقنا سحقاً، وتمحق الحرية والحق معنا، ولكن هذا لا يهولنا، لأننا لا نثق بالمادة



والأسلحة المادية، إنما إنكالا على الله الواحد القهار، وثقتنا بالضعفا المتوالي  
التي قدمها، والثبات القوي الذي نظره في هذه المعركة القائمة بين الحق والباطل  
والحرية والاستبداد. وإني لا أرى - مثل مهاتما غاندي - أن استعمال  
السلاح لا يجوز بحال، فإني مسلم وأعتقد أن استعماله مباح في المواقع التي أباحه  
الاسلام فيها. ولكني مع هذا أسلم بجميع دلائل مهاتما غاندي في المسئلة  
الحاضرة، وأعتقد صحتها، وإني لعلي يقين من ربي في أن الهند ستفوز في قضيتها  
بخطبة اللاتماون السلي، ويكون فوزها مثالا عظيما لفوز القوة الروجانية  
والأخلاقية والحق على الباطل والمادة.

### الحالة الحاضرة طبيعية

وإني أكرر أخيرا ما قلته أولا، وهو أن ما تعمله الحكومة معنا ليس بأمر عجيب  
ولا غير متظر، فلومها عليه أو تبرم منه، فإن القهر والعنف لقمع الحرية والحق  
دأب الحكومات الجائرة، وطبعها منذ الأيام الخالية إلى اليوم، ولا ينبغي لنا  
أن نعي أنفسنا بتغير الطبيعة لأجلنا.

وهذا الضعف الطبيعي كما يوجد في الآحاد، يوجد في الجماعات، فكم من  
الناس من يرد النزر اليسير المنصوب لأنه لا حق له فيه؟ وكيف ننظر من  
دولة أن تخلى عن قارة تسلطت عليها ووجدتها تدر كالبقرة الحلوب؟ والقوة  
لا تقبل شيئا لأنه حق وعدل، بل تنتظر قوة مقاومة مثلها، فإذا تصادمت بها  
خضعت لكل طلب منها كان فاحشا، فالجرب التي نشبت الآن بين البلاد والحكومة  
لا بد من طولها وامتدادها، ولا تأتي النتيجة إلا بعد شق الأقس. وإن هذا  
الواضح جلي لكل بصير، بل هو عادي مثل سائر أحوالنا العادية، فلا ينبغي أن  
نحسب منه أو نخشع.

وإني أسلم بأننا لم يصبنا ما أصاب الأمم قبلنا في هذا السيل من العسف والظلم وقصص الأموال والأتس. ولا أدري أ هذا لضعف في مطالبتنا بالحقوق ووهن في سعيها وجهادنا، أم لأن ظلم الحكومة لم يبلغ منتهاه بعد؟ المستقبل رهين بكشفه ويانه.

وقد علمنا التاريخ أن هذا النزاح كما يتبدى في كل زمن متشابه، كذلك ينتهى دائما متشابه، فالحرية والحق يتصران ويغلبان، والاستبداد والباطل يخذلان ويسقطان، فاذا كنا صادقين في قضيتنا، وصابرين في ابتلائنا، نتجح ونفوز بلا ريب، وتضطر هذه الحكومة التى تعاملنا اليوم كالمجرمين، إلى أن ترحب بنا غدا كالأبطال والفاتحين!

### ❖ الثورة ❖

إني قد اتهمت «بالثورة» مهلا، ذرونى أفهم معنى «الثورة». أ هى ذلك السعى الذى لم ينجح بعد؟ إن كان هذا هو الثورة، فنعم إني «ثائر» وممثل بين يديكم، عاقبوني بأى عقاب شتم؛ ولكن اعلوا أن هذا السعى إذا تكلل بالنجاح فإنه يسمى بـ «حب الوطن» و«جهاد الحرية». فقد كنتم بالأمس تسمون قادة أيرلندة «ثواراً وعصاة»، ولكن أى اسم تختاره اليوم الدولة البريطانية لديوليرا وغريفت؟ أم هم ثوار الآن أم أبطال الحرية؟

ولقد قال مرة قائد أيرلندة بأرنل: ما زال عملنا هذا يسمى في البداية «ثورة» وفى النهاية «جهادا وحربا مقدسة للحرية والوطن»!

### ❖ تاموس القضاء بالحق ❖

إني مسلم وحسب المسلم يقينا كتابه الذى يؤمن به، فالقرآن يدل على أن تاموس «انتخاب الطبيعة وبقاء الأصالح» تاموس عام، كما يعمل عمله فى الأجسام

والمادة، فيق منها الأصح والأصلح البقاء. كذلك يعمل في العقائد والأعمال،  
فالأعمال الصالحة تظل وتثمر، والأعمال السيئة تقف وتصحى بها. وإذا وقع  
فيها نزاع غلبت الأولى وحلت محل الثانية: (فأما الربد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع  
الناس فيمكث في الأرض، كذلك يضرب الله الأمثال) - ١٣ : ١٨.

ولذا يسمى القرآن العمل الصالح بـ "الحق"، الذي معناه الثبوت والقيام، ويسمى  
الشروا والسوء بـ "الباطل"، الذي من شأنه أن يزول: (إن الباطل كان زهوقاً).

فالتدافع الذي نراه قائماً بين الحزبين سينتهي غداً بفوز الحق والصدق،  
وبخسران الساطل والظلم. تلك سنة الله (فلن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد  
لسنة الله تحويلاً).

وإني لا أدري أ قريب يوم الفصل أم بعيد؟ ولكنني أرى الجوق قد اكفر  
وتلبد بالغيوم، واجتمعت الآيات على سقوط الأمطار، والويل كل الويل لمن  
يرى الآيات والنذر، ثم لا يأخذ أهنته، ولا يرتق فقهه، ولا يسد ثغره،  
وإني لأرى الحكومة من أولئك الذين لا تفهم الآيات والنذر، فأنها لا تزال  
متنادية في تيهها وخزواتها.

وقد قلت في هاتين الخطبتين: إن الحرية لا يثبت نيتها ولا تستوى على  
سوقها إلا إذا سقيت بماء الظلم والقهر. فما هي ذى الحكومة قد أخذت نسقيها  
بظلمها وقهرها!

وكذلك قلت فيها: إخواني! لا تحزنوا على من حبس منكم، بل إن كنتم  
تطلبون الحق والحرية حقاً، فهلوا إلى السجون واملؤوها. فما نحن أولاء. نرى  
السجون قد ازدحمت وامتلات حجراً حتى لم يبق فيها محل للصوم والفتنة.  
واضطرت الحكومة إلى تشييد سجون جديدة!

❦ وكيل الدعوى، والبوليس، والقاضى ❦

وفى الختام أريد أن أسوق كلمة إلى هذا النفر من بنى جلدتى الذين يعملون ضدى فى هذه القضية، فأقول: أصحابى، ثقوا بأنى لا أغضب ولا أحقد عليكم، بل لا أتهمكم بالكذب والزور على، لأن كل ما قلموه فى الشهادة حق وصدق، ولكنى أراكم قد عصيتم الله ربكم بمساعدة الحكومة فى استبدادها وظلمها ومحاربتها للإسلام والانسانية. إني أعلم أن صوت الضمير يوجبكم فى أعماق سرائركم على ما تعملونه، ولكنكم إنما اضطرتتم إليه اضطراراً، لأنكم لا تملكون ما تدون به عوزكم، وترزقون به أهليكم، وليس فيكم قوة لتحمل البأساء والضراء فى سبيل الحق، فلذا لا أحق عليكم ولا أعدلكم، بل أعفوا عنكم وأستغفر لكم الله..

وأما وكيل الدعوى فهو أيضاً أحد أبناء وطنى، ولا علم لى بسريرته، وإنما أرى علانيته، وهى تشهد أنه لا حظ له فى هذه القضية غير ما ينقده من النقود، فانه أجير يعمل لأجرته. فلذا لا أسخط ولا أحتى عليه، بل أدعو لجميع هؤلاء بدعوة نبي الاسلام (ص) لقومه: « اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون »

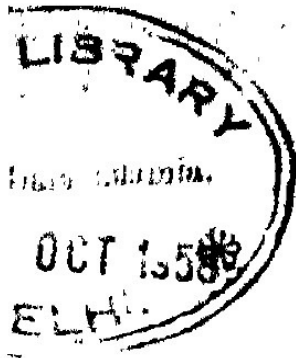
❦ فاقض ما أنت قاض ! ❦

وأنت أيها القاضى. ماذا عسى أن أقول لك؟ إن أقول إلا ما قاله المؤمنون قبلى فى مثل موقفى هذا: (فاقض ما أنت قاض. إنما تقضى هذه الحياة الدنيا) فانى لا أحس بأدنى هم ولا ألم منها تبالغ فى العقاب، لأن خطابى مع الحكومة لا مع شخص واحد. وما دامت الحكومة فاسدة فلا رجاء فى صلاح عملها.

وإني لأختم خطابى بكلمات لفقيه ايطاليا وشهيد الحق « غاردينيو برونو » الذى كان أوقف مثلى أمام المحاكم فقال: « عاقبوني بأكثر ما يمكنكم أن تعاقبوني به فاني أؤكد لكم أن ما يشعر به قلبكم من العطف والحنان عند كتابتكم الجزاء لا يشعر قلبي فى مقابله بذرة من الفرع والمطلع عند سماعي هذا الجزاء.. »

### الحاتمة

أيها القاضي، لقد طال الحديث وآن أوان الوداع، فليودع كل منا صاحبه، وإن ما بدور الآن بيننا سجله التاريخ بين دفاتره ويعتبر به المتبرون، ولقد تشاركنا في تربيته على سواء. أنا من هذا القفص للجنة، وأنت من ذلك لا بد من الكرى للقضاة، وإلى عالم بأنه لا بد من هذا الكرى، وكذلك لا بد من هذا القفص، فلم بنا نخرج من هذا العمل الذي سيكون عبرة وتذكرة للآتين، فالأورخ ينتظرنا، والمستقبل يترقب فراغا، لنسرع في المجيء إليك ولتسرع أنت في القضاء علينا. وإن هذا العمل لا يطول قليلا حتى يفتح باب لمحكمة أخرى، وتلك المحكمة محكمة قانون الله الحق، الزمان يقضى فيها، ويكون قضاؤه حقا وحكما نافذا.



# ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

المجلد التاسع	سبتمبر سنة ١٩٥٨	العدد الثالث
---------------	-----------------	--------------

محتويات هذا العدد

منه

٥ لصاحب الفخامة احمد حسن الباقوري

٢ رجل.... والرجال قليل  
الموضوع

## رجل.. والرجال قليل

لصاحب الفخامة أحمد حسن الباقورى

وزير الاوقاف بالجمهورية العربية المتحدة

- ١ -

كان مقدراً لهذا المقال أن يكون في سجل الاحتفال بتكريم مولانا آزاد، يوم أراد زعماء قومه أن يكرموه، اعترافاً بفضله، وتقديراً لما أدى من خدمات للأمة الهندية وللإنسانية عامة في مجال التحرير السياسى والفكرى.

وضرب المحتفلون موعداً.. وضرب القدر موعداً.. وكانت يد القدر أسبق من يد البشر، فضى آزاد إلى ربه في سكون أشبه بهذه السكينة التى كانت تظلل حياته وتعمر قلبه !! ومن يدرى؟ فربما لو كان آزاد حياً لما استطاع المتحدثون عنه أن يكشفوا عن كل ما يملأ صدورهم من تمجيد لآثاره، وإكبار لشخصه... إذ كان آزاد أزهد الناس في مديح... فما كان أثقل على سمعه، ولا ألم لنفسه، من أن يقال عنه ولو بعض الحقيقة فيه، شأن الرجل حين تكبر نفسه، ويستغنى بأدراك ما وهبه الله من معاني الخير، عما تلوكه ألسن الناس من كلمات المديح.

لقد أراد القدر أن ينصف آزاد... وأن يرضيه معاً....

أراد أن ينصفه فمكن للمتحدثين عنه أن يقولوا ما يعرفون غير متخرجين في قول فيه، ولا مشفقين أن يستحيوه بآيات المديح والاطراء... فلم الآن أن يتنوا عليه بما يعلمون وأن يصوروه باللون الذى يرتضون، إذ أخلى لهم آزاد

الطريق، فأصبح صفحة من صفحات التاريخ... وأراد القدر كذلك أن يرضى  
آزاد، وأن يسمعه كلمة الحق التي آمن بها، وعاش لها، فليس للتحدثين في مجال  
الذكرى إلا أن يقولوا الحقيقة كاملة، وأن يقفوا من آزاد موقف المؤرخين،  
شهداء بالحق يؤدون للأجيال القادمة شهادة التاريخ في إنسان!

وتقرير الحقيقة في آزاد خير عمل مبرور يقدمه أصدقاؤه وتلاميذه... فقد  
كان الرجل طالب حقيقة ينشدها في كل عمل يعمل أو قول يقوله... كان  
اتصال آزاد بالناس - وفاقا أو خلافا - وبالحياة - إقبالا أو إعراضا - يقوم على  
ميزان الحق والخير، فما كان حقا وخيرا فهو من قلبه بمكان الإيمان، ومن فكره  
بمنزلة اليقين. وما لم يكن كذلك فهو أبعد شيء عن قلبه، وأبعد شيء عن  
فكره، مهما تكن الدواعي إليه والمغريات. ذلك أنه لا يرى الحياة حياة إلا في  
ظلال الحق والخير، ولا يرى الناس ناسا إلا في مجال الحق والخير.

وبهذا نستطيع أن نقول في ثقة: إن لآزاد أن يعلمن في مشى خلوده،  
فلن يسمع في ذكره هذه إلا خيرا وحقا... إذ الخير كل الخير في ذكره، والحق  
كل الحق في سيرته، لأن حياته كلها للخير وللحق، ثم ليرض آزاد الرضا كله  
عن القدر، إذ جعل يوم تكريمه يوم ذكره، لتظل سيرته خالدة على الأجيال،  
تبصر بالحق وتهدى للخير.

ولقد أراد القدر أيضا أن يكون حظي من آزاد في مماته، أكثر من حظي  
منه في حياته!

لم تجمع بيني وبينه الأيام إلا لحظات قضيتها معه في نيودلهي في شهر  
أبريل سنة ١٩٥٥، وأنا مع الرئيس جمال عبد الناصر في الطريق إلى مؤتمر  
بندونج، وكان قدمني إليه سفير مصر في الهند وصديق الهند السيد إسماعيل كامل...  
قدمني إليه علي أتفي وزير مصري مسلم، في حكومة الثورة المصرية، وأنا من



رجال الدين المتخرجين في الأزهر. وأذكر كلمة قالها آزاد ونحن نتعارف، قال:  
«إن الاستنارة في الدين هي الطريق الوحيد لخدمة الدنيا والدين جميعاً..»  
وكنت قد هيات نفسي للقاء هذا الرجل الكبير، ووطنها على ألا أشغل  
بشيء عنه حتى أعرف حقيقته عن قرب، وأتناوله عن مشاهدة، بعد أن سمعت  
عنه ما تردد في الدنيا من علمه ونبالة خلقه.

ولكن كيف لي أن أسبر غور هذا البحر الزخار، وأن أتعرف على  
ما اشتمل عليه كيانه من آيات العظمة والنبوغ!

إن كل ما استطعت أن أظفر به في هذا اللقاء القصير، هو روعة الفنان  
أمام آية من آيات الفن، أو نشوة العالم أمام معجزة من معجزات العلم! لقد  
بهرتني آزاد بشخصيته، وملأني إعجاباً بروحه المشرقة، ونفسه الصافية، التي استطاع  
بها في لحظات، أن يتخطى موازين الزمن، فيجعلني آنس إليه آنس الصديق  
الودود بصديق امتد حبل صداقته عشرات السنين!

وانتهت هذه اللقاء، وما شفيت من آزاد غليلاً... بل لقد اشتد ظمئي إليه،  
وازداد شوقي إلى معرفة الكثير من أنبائه وأحواله... وكذلك تطفئ غلة الظلم.  
إذا لاح ليمينه نبع صاف رقيق... وعزمت منذ ذلك اللقاء، على أن أصل  
الرجل بقلبي وعقلي، وأن أقرأ له، وعنه، في أوسع الحدود، إذ كان مبلغ علمي  
به إلى هذه اللحظة، شيئاً قليلاً، بالاضافة إلى ما عنده من خير كثير، في علوم  
الدين والدنيا... فان الغرب قد شغلنا بتقدمه العلمي والصناعي، عن أجدادنا وعن  
رجالنا، حتى يكاد يصرفنا جميعاً، عن كل ما عندنا من خير في القديم والحديث.  
ولكن صورة الشرق اليوم، جدرة أن تخلق فينا وعياً جديداً، يفتح قلوبنا  
وعقولنا على ما بين أيدينا من خير كثير، في ماضينا وحاضرنا، وأنه لا جدوى  
مننا، أن نأخذ عن الغرب بطاقة الاستعارة والتقليد.

ولقد فارقت الرجل، وأنا على هذا الشعور، وبذلك النية، ولكن زحمة الحياة من حول الرجل، وشواغلها من حولي قد قصرت من جهدي في هذا المدى، فما استطعت أن أتابع نشاط آزاد العلمي، ولا أن أتناول قدرًا مناسباً من إنتاجه الفكري. وكان أن رحل آزاد عن دنيانا هذه وأخلي مكانه منها، وسكن تدافع الحياة من حوله فأصبحت الفرصة ممكنة لأن يرى آزاد على حقيقته، وأن تكشف جوانب عظمته للباحثين والدارسين، بعد أن انزاح غبار المعركة الدائرة بينه وبين الحياة..

لقد كان آزاد في حياته حركة مطلقة لا تعرف السكون.. كان أشبه بالشهاب يحترق الفضاء في سرعة مذهلة، لا يرى منه إلا هذا الضوء الخاطف.. وأما ماوراء هذا الضوء فهيئات أن تدركه الأبصار أو تبلغ مداه الظنون.

— ٢ —

قلت: إن حظي من آزاد في مماته أكثر من حظي منه في حياته.. فذمات آزاد وهو في كل لحظة من نفسي، وفي كل خالجة من شعوري..

لقد كان وهو حي يملأ مجالات ما كنا نحس بفراغ فيها.. حتى إذا مات وجفت هذه الموارد الغريزة التي كان يتدفق بها قلم آزاد وينطق بها لسانه— شعرنا بهول الفاجعة، وأحسنا المصيبة في هذه النعمة التي انتزعها القدر منا، وأصبنا تلقت إلى مكانه في كل حدث يقع، وفي كل عظمة تظهر..

إن شأن الناس في دنيانا هذه، ألا يعرفوا قيمة ما بأيديهم من نعم، فإذا خلت أيديهم منها، بأن لهم قدرها وعظم في أعينهم فضلها، وطالت حسرتهم عليها، وكثر حدم لها.

لقد كان آزاد- كما كان كثير من رجال الهند في قديمها وحديثها- نعمة من نعم الله على الإنسانية، يشر بالحق ويدعو إلى المحبة، ويهدي إلى الخير... كان صاحب رسالة إنسانية، علوية المقاصد نبيلة الغايات... حملها في قلبه، ونشأها في ضميره، وزكاها بعقله فأخصبت بها نفسه، وفتحت لها مشاعره، وأصبح كل رأى أصيل أو مبدأ طيب يتصل بهذه النفس، ويلتقي بهذا الوجدان، يدعو على سمائها الصافية مشرقاً وضياءً ينير للناس مسالك الخير، ويكشف لهم معالم الطريق إلى الهدى.

وإذا كان الماء يتلون بلون الاناء الذي يحل فيه، فإن المبادئ والمثل تظهر في لون النفس التي تمتلئ بها... استقامة أو عوجاً، وخيراً أو شراً... إن العلم تحصله النفس الفاضلة، فإذا هو رحمة راحة بالناس، وخير متصل ينال منه القريب والبعيد على السواء... والعلم نفسه تحصله نفس شريرة، فإذا هو رجوم نرمى الناس بالضلال، وتسوقهم إلى مواطن الزلل والفساد... والحجة تلتقي في أرض طيبة فتصبح شجرة مظلة مثمرة، وتلتقي في الأرض السبخة فتأكلها كما يأكل الصدا الحديد. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبت الكلاً والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها، وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان، لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً...»

- ٣ -

كان آزاد صاحب قس لا يحوم في سمائها إلا الخير، ولا يتردد في جنباتها إلا أناسيد السلام والمحبة... فإذا اتصل بها الحق أضاء وأشرق، وإذا اتصل بها

الخير فما وزرع.. وفي ذلك يقول القرآن : «والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه، والذي خبث لا يخرج إلا نكدا»..

لقد كان من حظ آزاد أن كانت مكة مولده، وكانت الهند موطنه، وكان الاسلام دينه.. ففي البلد الأمين.. مكة.. ولد آزاد حيث كان والداه يقيمان فيها، ويلتزمان البركة من مطالع النبوة في سمائها القدسي، وأرضها الطهور.. وليس بعيد أن تكون نفحة من نفحات السماء قد لمست روحه، وسكنت قلبه.. فان المواطن الطيبة ترجى في رحابها رحمة الله، ويلتمس فيها رضوانه.

وفي الهند عاش آزاد حياته.. والهند موطن الانطلاق الروحي من كثافة المادة والتجرد النفسى من شهوات الحياة.. تزكو فيها الاستعدادات الطيبة، وتتفتح الملكات الموهوبة، وتعمق الخواطر الفاحصة المتأملّة.

ودين الاسلام، الذى اعتقده آزاد، دين إنسانى يعلو بالانسانية فوق الاحساب والالوان والاجناس، يولد فيه الانسان مجرداً من كل صفة ترفهه على غيره، وتقدمه على سواه، مبرأ من كل نقبضة تحط من قدره أو تنزل من مكانته.. فليس في شريعة الاسلام ما يرفع الانسان أو يخفضه إلا عمله وما اتصف به هذا العمل من صفات الخير أو الشر.

وحين التفت في آزاد تعاليم الاسلام، صادفت مكانا كريما، وموطنا طيبا.. فلم تلبث هذه التعاليم أن اشتملت على كيانه كله، فكانت عقله الذى يفكر، وقلبه الذى ينبض، ووجدانه الذى يحس، فلم يجد مشقة في رعاية أحكام الدين ولم يتكلف شيئا للاستقامة على طريق الاسلام واتهاج مناهجه... فما كان الدين إلا تسيرا عن خلجات هذه الفطرة السليمة، وترجانا لما تنطوى عليه من خير..

ولو لم يكن آزاد صاحب دين لكان صاحب خلق يعيش به في الناس بعيدا

عن مواطن الزيف والضلal.

وتظهر عظمة آزاد، وتجلى إيمانه الوثيق بالله، وفهمه الصحيح للإسلام، حين قدمه الانجليز للحاكم بتهمة التحريض على الثورة، وجمعوا لذلك أدلة الاتهام من خطبتين كان قد ألقاهما في مدينة كلكتا، يدعو المسلمين خاصة والهنود عامة إلى العصيان المدني.

كان ذلك في أواخر سنة ١٩٢٢، وآزاد في بقية من شباب يحرص المرء عليها أشد الحرص، ويضن بها أن تذهب في مجال الحياة الجافية المظلمة.. إن المرء في هذه المرحلة من العمر يقف وقفة المشفق على شبابه المتأهب للرحيل، الخائف من شبح الشيخوخة المقبلة.. فهو من هذا ومن تلك مقبل على متعه، مشغول بنفسه.

ولو وقف آزاد هذا الموقف قبل ذلك بسنوات، لقلنا إنها فورة الشباب وثورة الصبا: تدعوه إلى المغامرة وتحمله على التهور..

ولو وقف آزاد هذا الموقف بعد ذلك بسنوات، لقلنا إنه يأس الشيخوخة ومرارة الهرم: حملته على أن يخرج من الحياة من هذا الباب في صورة بطل من أبطال التاريخ!

ولكن شاء القدر أن يتخير لآزاد هذا الموقف بالذات، في الوقت الذي يقف فيه إحدى قدميه في دنيا الشباب والأخرى في طريقها إلى عالم الهرم.. أراد القدر ذلك ليثبت في سجل الإنسانية آية من آيات سمو البشرى، ومثلا من أمثلة الإنسانية الرفيعة في الإيمان بالحق، والقيام في وجه الظالمين الطغاة.. على حين اشتدت نوازع النفس وقويت رغبتها في الحياة، وفي وقت استغلظ فيه يأس الظالمين وجن جنونهم بالانتقام والتكيل!

ومعكذا التقى آزاد وحيدا إلا من إيمانه، أعزل إلا من روحه.. التقى بالامبراطورية الانجليزية كلها، بما كان لها إذ ذاك من قوة متحركة في العالم، متسلطة على الشرق والغرب.. وما كان لها من رهبة مخيفة مفزعة تطوف على الناس بالاستكانة إليها واليأس من الخلاص منها. التقى آزاد بهذه الامبراطورية مجينا في قصص الانهزام.. يواجه قضاة لا يطمع منهم في رحمة، ولا ينتظر من جهنم إلا ما ينتظر الحمل الوديع من مخالب الأسد.

وتدور المعركة في ساحة المحكمة. فيشهد التاريخ أعنف معركة وأعجبها.. يسجل فيها آزاد نصرا حاسما للانسانية، به يقرر مصيرها، ويتحدد موقفها لأجيال عديدة مقبلة.

ودع الموقف لأراد يتلو علينا فيه من آياته ما تغنو له جباه الجبابرة، وتستخذي له قوى البغي وأبالسة الشر في كل مكان، على قدر ما تشتد به عزائم الرجال وتقوى به نفوس المؤمنين.

استقل آزاد المحكمة ثابت الجأش، ساكن النفس، كأنما يسعى إلى موعد حبيب إليه مألوف عنده، وساد المحكمة سكون رهيب.. قطعه آزاد بقوله:

أيتها القضاة! إنى كنت عازما على ألا أقدم إلى المحكمة بيانا ما، لأنها مكان لا رجاء لنا فيه، ولا طلب منه، ولا شكوى إليه، وإنما هى كننرج الطريق إلى المنزل، لا بد من قطعه للسابل، ولذا نقف فيه وقفة على كره منا، وإلا لدخلنا السجن تواء.

فهو إنما يستعجل الطريق إلى السجن، أو الموت. لأن السجن أو الموت أحب إلى نفسه من أن يعيش طليقا في وطن يتحكم فيه الظالمون، ويستبد به الطغاة..

ثم يقول:

إني إذ أتدبر التاريخ العظيم لهذا الموقف، وأراني قد شرفت بالوقوف فيه، تسبح روحى بحمد الله، ويلج لساني بشكره من غير قصد منى، وهو وحده يعلم ما أجده من الفرح والابتهاج، إذ أحسني في هذا القفص محسودا للولوك والسلطين العظام... فأين لهم في قصورهم المريحة، تلك المسرة والراحة التي يرقص لها قلبي في صدرى... إني أقول حقا: إنه لو أدركها الناس لتمنوا المثل في هذا المكان ولنذروا النذور لأجله!

ويقول:

إني كنت عازما على السكوت في المحكمة، ولما أحضرت إليها، ورأيت الحكومة تقدم في إثبات جرمي الخطبتين اللتين ألقينا في مجامع كلكتا، وهما لا تحتويان على جميع الأمور التي مازلت أكررها في جميع خطبي ورسائلي ومقالاتي التي إن قدمت كانت أنفع لقصدها - علمت أنها عاجزة حتى عن تهية المستند الذي يعتبر في هذه الأيام كافيا لانزال العقاب، مع شدة رغبتها وحرصها على سجنى... فغيرت قصدى وقلت: إن العلة التي كانت مانعة من الكلام أصبحت موجبة له وأردت أن أثبت بلساني الأمر الذي لا تستطيع الحكومة إثباته....

أراهم منها يقيم الدليل على تهمته، ويمهد للقاضى سبيل الحكم عليه؟ ولكن هكذا تكون مواقف الرجال في ملاقاته الأهوال والمحن!

ثم بمضى آزاد يؤكد للحكمة في صراحة صريحة ثبوت التهمة الموجهة عليه

فيقول:

• إن كانت هذه التصريحات جناية فاني معترف بأن قلبي قد اشتغل بها، ولساني نطق بها، وأنا الذي صرحت بها أمام عشرات الآلاف من الناس... بل إنني لأجدني الآن مدفوعا إلى التصريح بها أمام المحكمة، ولا أزال قائلا بها مادام لساني بين أسناني، وروحي في جثمانى - وإن لم أفعل ذلك أكن ظالما لنفسى، وعاصيا عند الله، وعند الناس أجمعين..

وهكذا يرى آزاد أن السكوت عن المنكر ظلم للنفس، وعصيان لله، وعقوق للإنسانية.. إنه مطالب أمام عقيدته الدينية وأمام ضميره الانساني، أن يدفع هذا الظلم بكل ما يتطوع، وما دامت القوة المادية غير مستطاعة له الآن، فلا أقل من أن يلعن الظالمين بلسانه ويضع آثامهم على أعين الناس! ويصرخ آزاد في وجه قضائه:

• إنى مسلم... ولأنى مسلم وجب على أن أندد بالاستبداد وأقبحه، وأشهر مساويه... إن الاسلام بمجرد ظهوره أعلن أن الحق ليس بالقوة. ولا هو القوة، بل الحق هو الحق، وأنه ليس لاحد من البشر أن يعبد عباد الله ويذلهم ويسخرهم... الناس كلهم متساوون في الإنسانية، متساوون في الحق، متساوون في الحياة، وليس اللون والجنس والنسل معيارا للفضل والحسب، وإنما معياره العمل وحده، فأعلام قدرا، وأكرمهم حسبا، أحسنهم عملا، وأتقاهم لله... إن الاسلام أعلن حقوق الانسان قبل انقلاب فرنسا بأحد عشر قرنا... ولعمري إن مطالبة المسلم بأن يسكت عن الحق ولا يسمى الظلم ظلما، مثل مطالبة بأن يتنازل عن حياته الإنسانية. فان كنتم لا ترون لاقسكم



رجل... والرجال قليل

أن تطالبوا أحدا بأن يرتد عن دينه، فليس لكم أن تطالبوا مسلما  
بأن يمتنع عن قوله للظالم إنه ظالم..

كذلك كان آزاد.. إنه لم يكن محترف سياسة، يتحول بها مع الأحوال  
ويتقلب مع مقتضيات الظروف، ولكنه صاحب دين، وليس لصاحب الدين  
أن يقبل المساومة في دينه، والتنازل عن شيء من عقيدته.. إنها كل لا يتجزأ.  
فاما الحق، وإما الباطل.. وفي سبيل الحق يحتمل المسلم في إيمان وصبر  
ما يعرض له من فتنة وبلاء...

ثم يقول آزاد:

الاسلام من أوله إلى آخره دعوة عامة إلى البسالة والجرأة  
والتضحية والاستهانة بالموت في سبيل الحق.. وقد ابيضت عين الدهر  
ولم تر مثل هذه التضحيات الكثيرة في إعلاء كلمة الحق التي قدمتها  
الأمة الإسلامية في كل دور من حياتها.. ألا فلتعلم الحكومة  
الانجليزية: أن المسلم الذي أمره ربه أن يرحب بالموت الأحمر ويتغفل  
في لجج الدواهي والكوارث ولا يقبل السكوت عن الحق، لا يخيفه  
قانون العقوبات الاستعماري، ولا يردده عن دينه وأداء فريضته.

إني أقول حقا: إنه لا يؤمن أن أرى الحكومة عازمة على  
معاقبتي وأنها لا تحاكني إلا لأن تزجني في السجون، إذ هذا أمر  
لا بد منه.. وإنما الذي يؤمن فيفتت كبدي، هو أن أرى الحالة تنقلب  
انقلابا تاما، فبدلا من أن ينتظر من المسلم صدق اللهجة والقول  
الحق، يطلب منه السكوت عنه وكتمان الشهادة، وألا يقول للظالم  
إنك ظالم، لأن قانون المستعمرات يعاقب عليه.

وفي ختام هذا المشهد الرائع العجيب، يلتفت آزاد إلى أولئك الذين غرر بهم المستعمر من أبناء الهند لقيموا الدليل على إداته، فيقيم لهم العذر، ويطلب لهم المغفرة، ويوجه إليهم الخطاب قائلا:

.. أصحابي.. ثقوا بأنى لا أغضب ولا أحقد عليكم، بل لا أنهمكم بالكذب والزور على، لأن كل ما قلتموه في الشهادة حق وصدق، ولكي أراكم قد عصيتم الله ربكم بمساعدة الحكومة الانجليزية في استبدادها وظلمها ومحاربتها للإسلام والانسانية.. إني أعلم أن صوت الضمير يوجعكم في أعماق سرائركم على ما تعملونه، ولكنكم إنما اضطررتم إليه اضطرارا، لأنكم لا تملكون ما تسديون به عوزكم وترزقون به أهليكم. وليس بكم قوة لتحمل البأساء والضراء في سبيل الحق.. فلذا لا أحق عليكم، ولا أعذلكم بل أعفو عنكم. وأستغفر الله لكم..

إن آزاد يعرف الضعف الانساني الذي يتسلط على بعض الناس.. لا يطلب من الحياة أن ترتفع بالناس جميعا إلى هذا المستوى الكريم الذي ارتفع إليه في التضحية والاحتمال.. فهو يعذر ويغفر، ومن ثم، فإن صلاته بالاضال من مواطنيه تظل قائمة، يعالجها بحكمة، وبدوايها بتسامحه.

وقبل أن يسدل الستار على هذه المأساة التي يمثلها الاستعمار على مسرح القضاء ويلبسها ثوب العدل والحق - يوجه آزاد حديثه إلى القاضي فيقول:

.. وأنت أيها القاضي ماذا عسى أن أقول لك؟ إن أقول إلا ما قاله المؤمنون قبلي في مثل موقعي هذا (فاقص ما أنت قاض.. إنما تقضى هذه الحياة الدنيا).. أيها القاضي لقد طال الحديث، وأن أوان الوداع، فليودع كل منا صاحبه. إن ما يدور الآن بيننا، سيحطه التاريخ في مجله، ليعتبر به المحثرون.. لقد اشتركنا في تربيته

على سواء .. أنا من هذا القفص للجنة، وأنت من ذاك الكرسي للقضاء .. فلم بنا نفرغ من هذا العمل .. لنسرع في المجيء إليك ولتسرع أنت في القضاء علينا، فإن هذا العمل لا يطول قليلا حتى يفتح باب محكمة أخرى، محكمة قانون الله الحق .. الزمان يقضى فيها، ويكون قضاؤه حقا وحكما نافذا ..

ذلك هو آزاد المسلم، الذي تمكن الاسلام من قلبه، فخاض لجح الأهوال وتقمح سبل المهالك، دون أن تتعثر خطاه، أو يتحرف عن غايته .. إن الاسلام دين الوجدانية المطلقة التي رفعت بصر الانسان خالصا لله، لا يلتفت إلى سواء .. فن آمن بهذا الدين فليرفع رأسه، وليقل كلمة الحق لأنها كلمة الله. وقد وقف آزاد الموقف الذي يدعوه إليه دينه، ويهتف به وجدانه.

ومن هنا، ندرك سر هذه الرابطة القوية الوثيقة، وهذا الالف المتين الذي جمع بين آزاد والزعيم العظيم غاندى .. إنها يؤمنان بالحق ويبشران به، وإن اختلفا دينا ومعتقدا.

لقد كان آزاد مسيلا عريقا في دينه، وكان غاندى هندوسيا عريقا في دينه، عظيمًا في قومه .. وكانت الخلافات الطائفية جديرة أن تباعد بين الرجلين، وأن تفسد الحياة بين هاتين الطائفتين الكبيرتين في الهند، إذ كان الاستعمار — طوال أربعة قرون — يغذى هذه الخلافات وينميتها، ويمد نارها بوقود جديد، كلما هم زعماء الهند باطفاؤها.

ولكن فهمهما للدين وإدراكهما لسلطانها، قد جمع بينهما على كلمة سواء .. فجعل من المسلمين والهندوسيين قوة واحدة في وجه الاستعمار، وبهذه القوة هزمت الهند بريطانيا، فأجلتها عن أرض الوطن، وأعادت إلى أبنائه ما فقدوا من حرية وكرامة.

لم يكن الدين عند آزاد مجرد عقيدة يعيش فيها المرء كما تعيش القواقع في أصدافها، لا ترى في هذا الوجود إلا نفسها، ولا تحقق من معنى الحياة إلا ما يضمن لها الوجود... ولم يكن الدين عند آزاد سلعة يتاجر بها في سوق الكذب والرياء، لينال بها جاها عربضا، أو بصيب منها مالا كثيرا... لم يكن الدين عند آزاد شيئا من هذا، وإنما كان الدين عنده أدبا عاليا، وخلقاً كريماً يمنح الناس خير ما عندهم من خير، وأكرم ما فيهم من إنسانية، حتى يجد الناس في ظل الدين ما يجد المسافر من ظل الدوح في يوم قاتظ.

والإسلام الذي ارتضاه آزاد ديناً له، هو دين يظلل الإنسانية جميعاً برحمته، ويجمعها جميعاً إلى نسب واحد: يضم ما اختلف من ألوانها وما تفرق من شعوبها... يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا... إن أكرمكم عند الله أتقاكم..

#### — ٤ —

وفهم آزاد رسالة العلم كما فهم حقيقة الدين... فليس العلم عند آزاد ثروة يحصلها العلماء ثم يكتزونها كما يكتز البخلاء، ما يجمعون من مال... أو يبددونها في غير طائل كما يبدد السفهاء أموالهم في اللهو والعبث... وإنما للعلم وظيفة كوظيفة الدين في إنارة العقول، وتهذيب الطباع، وخلق روح إنساني، يصل الإنسان بالإنسان، لخدمة الحق والخير، وكشف أسرار هذا الكون، وتسخير قوى الطبيعة لخير البشر أجمعين.

بهذا الفهم السليم لوظيفة العلم، طلب آزاد العلم وأضنى نفسه في طلبه وأضر بصحته في سبيله، ولكنه كان مع هذا سعيداً غاية السعادة راضياً أتم الرضا، لأنه إنما يطلب العلم بوجودان المجاهدين في سبيل الله، وإيمان المدافعين عن كلمة

لحق، لتعلم، ولتبسط ظلها على الناس .

لهذا كان العلم عند آزاد أكبر قوة يعتمد عليها في دعوته إلى السلام، إذ كان يرى أن للعارف الإنسانية ما للأنساب في توثيق الصلات بين الناس، فإذا لقي الناس في مجال العلوم والفنون تقاربت لذلك قلوبهم، وتلاقت أفكارهم، أنس بعض إلى بعض كما يأنس الصديق إلى صديقه !

ففي ظل الروابط العلية يمكن أن يلتقي الناس ويتآلفوا، ويمكن أن تقوم وحدة إنسانية شاملة، تجمع الناس إلى الإخاء والمحبة... يقول آزاد في حفل افتتاح أول مؤتمر لمجلس الهند للروابط الثقافية :

• هذا التعاون الثقافي ضروري من وجهة النظر الأمية كذلك ..  
فأنا إن تمكنا من إنشاء كتل كبيرة على أساس الصداقة وحسن النية، زالت أسباب الارتباب والتنافر من بين الشعوب، وقدرنا على تنمية التفاهم وتدعيم السلام العالمي . وقد أثبتت التجارب أن الروابط الثقافية تعمل في توحيد الشعوب أكثر مما يعمل الاتحاد السياسي، لأن الاتحاد السياسي قوامه النفع الذاتي، بينما العلاقات الثقافية تأتي بالتفاهم العام ..

— ٥ —

وإذن، فقد كانت تعاليم الاسلام ومقررات العلم ركائز في قلب آزاد :  
قوم عليها في نفسه معاني الحب، وتشتد بها نوازع الخير . فما أضمر آزاد في حياته عداوة لأحد، ولا شغل نفسه بالتفكير في الإضرار بالإنسان، ولو كان لإنسان شرا محضاً، وبلاء خالصاً كاولئك الانجليز الذين استعبدوا قومه واستباحوا حرمان وطنه .

لهذا كان آزاد أشد الناس إيمانا بالحركة التحريرية التي تزعمها غاندى، والتي تعد حركة فريدة في تاريخ الحياة البشرية، سواء أكان ذلك في أسلوبها أم في النتيجة التي انتهت إليها.

لقد أعلن غاندى الحرب على الانجليز، ولكنها حرب سلبية لا يلقى الهنود الانجليز فيها سلاح، وإنما يلقونهم بالمقاطعة المادية والأدوية، فلا يلبسون مما تتج مصانع إنجلترا، ولا يأكلون مما تصدر إنجلترا، ولا يلقون أحدا من الانجليز بالمودة في أى مجال يتصلون بهم فيه.

ولم يكن أحد يقدر أن هذه الحركة ستفعل ما لم تفعله القذائف المدمرة.. ولكنها كانت ضربة قاصمة للاستعمار، زلزلت كيان المستعمرين وأجلتهم عن أرض الوطن.

هكذا يؤمن آزاد- كما كان يؤمن غاندى- بالخير، وإن الخير لا يلد إلا خيرا، كما إن الشر لا يلد إلا شرا.

وبالخير والحق انتصرت الهند.. وعلى الخير والحق تعيش اليوم أمة الهند، وتقيم دولتها على دعائم المحبة والأمن والسلام.

وحين فقد الهند رجلا من رجالها كآزاد، فانما تفقد معها الانسانية قوة من قوى الخير، وصوتا من أصوات الحق، في وقت تبدو فيه الانسانية أشد ما تكون حاجة إلى دعاة الخير والحق.

ولكن عزاء الهند وعزاء الانسانية جميعها في آزاد، أنه ترك وراءه ثروة طائلة من تاج الفكر الحر والقلب السليم، ستكون دروسا نافعة لاذاعة الحرية والخير في دنيا الناس.

ثم إن في سيرة آزاد قدوة صالحة لأبناء هذا الجيل والأجيال القادمة،

لا شك أن كثيرا من الناس في الهند وفي غيرها من المسلمين وغير المسلمين سيتفهمونها ويتخرجون على هديها.

فإذا غربت شمس آزاد في مرآى العين، فإنها ستشرق في نفوس كثيرة ممدى الأجيال. وإذا انطوت هذه الصفحة المشرقة من سفر الحياة، فإنها ستحل مكانها المبدأ لها في سفر الخلود وسيأخذ صاحبها مكانه في الخالدين.

وإذا رددت شبه القارة الهندية ذكرى فلاسفتها وزعمائها، وذكرت طاغور وغاندي، وإقبال، وآزاد فإنها في مقام الذكرى ستنظر بعين الأمل إلى الأبطال المرتقبين من أبنائها الأحياء ليأخذوا مكان طاغور، وغاندي، وإقبال، وآزاد. فان الهند ولود لأبطال الإنسانية وعظمتها.

رحم الله آزاد، ونفع بذكراه، وعوض الهند والعالم عن فقدته 111

